وزارة الثقافة

للشعب فقط

سعيد الناشف

رقمنة

وزارة الثقافة
Ministry of Culture

للشَّعب فقط

تأليف: سعيد النَّاشف

صدرت الطَّبعة الأولى عام ١٩٤٧

عن مطبعة الحريّة - يافا

وزارة الثقافة الفلسطينية
سلسلة الموروث الثقافي
اسم المؤلف: سعيد النَّاشف
اسم الكتاب: للشَّعب فقط
الطبعة الأولى: ١٩٤٧ عن مطبعة الحريّة - يافا

الإشراف العام: عبد السَّلام عطاري
مراجعة وتدقيق: حنين خالد عِناية
الصف الضوئي: شادية الخطيب
تصميم الغلاف: فاطمة حسين

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعمال المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذنٍ مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission of the publisher.

فلسطين

للشَّعب فقط

تقديم

سيادة الرَّئيس محمود عبَّاس «أبو مازن»

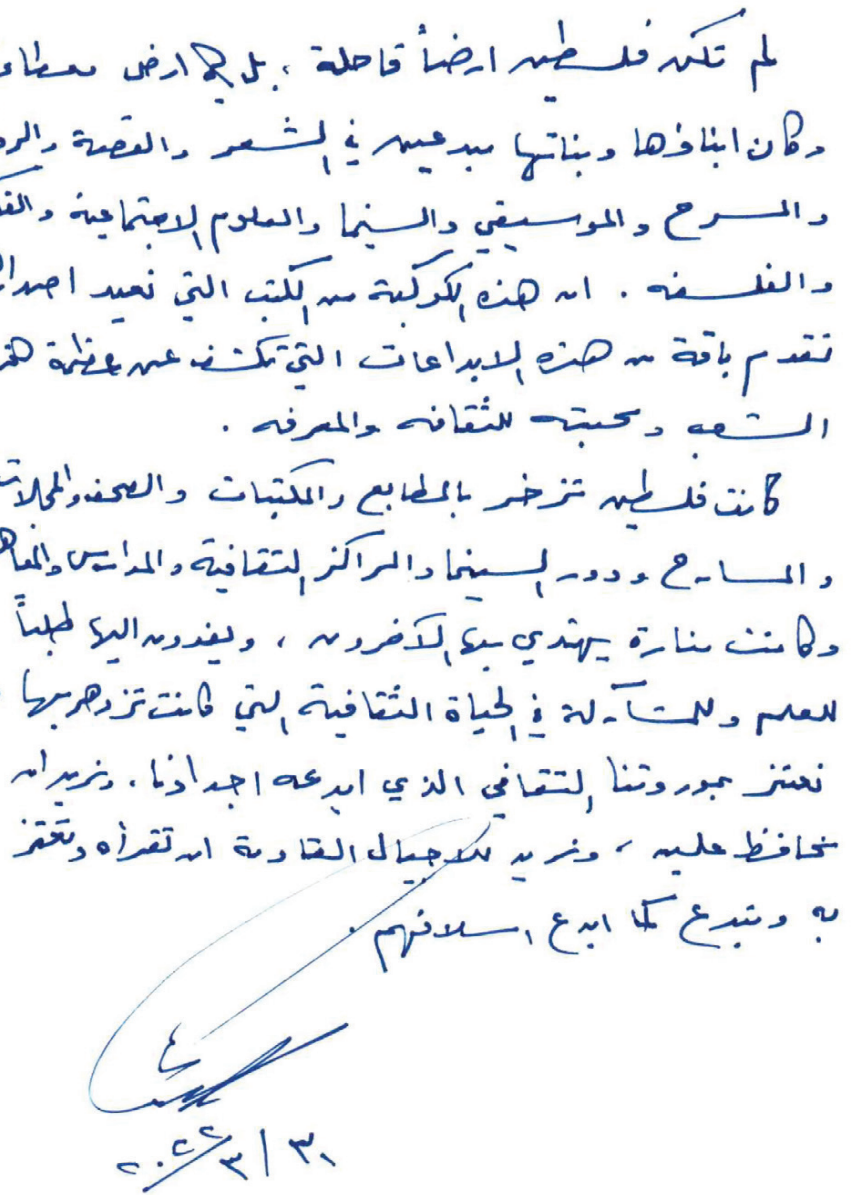
لم تكن فلسطين ارضاً قاحلة ، بل كانت ارض معطاءة
وكان ابناؤها وبناتها مبدعين في الشعر والقصة والرواية
والمسرح والموسيقى والسينما والعلوم الاجتماعية والفكر
والفلسفة . انه لمن الكرامة ان الكتب التي نعيد اصدارها
تقدم باقة من هذه الابداعات التي تكشف عمق وغنى هذا
الشعب وحبه للثقافة والمعرفة .

كانت فلسطين تزخر بالمطابع والمكتبات والصحف والمجلات
والمسارح ودور السينما والمراكز الثقافية والمدارس والمعاهد
وكانت منارة يهتدي بها الكثيرون ، ويفدون اليها لطلب
العلم والمشاركة في الحياة الثقافية التي كانت تزدهر بها .
نعتز جميعنا بتراثنا الثقافي الذي ابدعه اجدادنا . ونريد ان
نحافظ عليه ، ونريد لاجيالنا القادمة ان تقرأه وتعتز
به وتبدع كما ابدع اسلافهم .

٢٠٠٥/٢/٣٠

تقدمة
للشَّعب فقط

•••

الهمج والمتوحّشون، يرون الذّهب بريقًا، ولا يعرفونه جوهرًا نفيسًا أو معدنًا ثمينًا، وقد يستبدل الهمجيّ المتوحّش حفنة الذّهب بحفنة من الملح، أو الخرز والودع! والخرز والودع أنفس جواهر العبيد!!

وأنت أيُّها الشَّعب جوهر نفيس، ولكنّ زعماءك لا يعرفونك كذلك! كنت غنيًّا قويًّا فأفقروك وأضعفوك! وكنت صاحب وطن فأضاعوا وطنك؛ لأنَّهم لم يتزعّموك ليقودوك إلى مواطن المجد، وإنَّما كان همّهم منصرفًا إلى تخليد زعماتهم، ومن أجل ذلك رسموا لأنفسهم خطَّة لا يحيدون عنها، فإذا سألهم سائل، أو حاسبهم محاسب، أو نافسهم منافس؛ أو فضح عجزهم صريح حازم، اتّهموه بالخيانة!!

وكنتَ شعبًا نبيًا، فظننت أنّهم نبلاء، وكنت شعبًا صادقًا شريفًا، فظننتهم صادقين شرفاء، فصدقت أقوالهم ورميت بعض رجالك بالخيانة الوطنيّة!!

وإذا كانت مخالفة هذا النّفر الأنانيّ العاجز الضّعيف من زعمائك (خيانة) فأنعم بها من خيانة! ولكنَّها ليست خيانة للوطن! بل هي محاولة إنقاذه من شرور زعامتهم التي جرت النّكبات على هذا الشّعب الصَّابر!

لقد حفظوا كلمة يقولونها دائمًا: «إنَّ فِلَسطين عربيَّة، وستظلّ عربيَّة إلى الأبد»، هذا وأرض الوطن تطير، دونمًا بعد دونم، وقرية بعد قرية،

هـذا والزّعـماء في حـرب لا هـوادة فيهـا، بـين بعضهـم البعـض، وقـد شـغلوا الأمَّـة بهـذه الحـرب عـن نفسـها وعـن وطنهـا، فضـاع الوطـن، وضاعـوا هـم وضـاع الشَّـعب معهـم!! فانبذهـم نبـذًا أيُّهـا الشَّـعب لأنَّـه لا خـير في سـمكة قُـدّ رأسـها.

تذكّـر حروبهـم بـين بعضهـم ثـمّ احكـم عليهـم، اطردهـم قبـل أن تضيـع بقيّـة الوطـن، وقبـل أن تنشـب بيننـا حـرب أهليَّـة لا ينيرهـا سـواهم.

أيُّهـا الشَّـعب!! بعـد انتهـاء الحـرب، وإحـراز النّـصر، قيـل لتشرتشـل زعيـم الحـرب ومحـرز النّـصر: «لقـد انتهـى عملـك، ونريـد أن نجـرّب غـيرك، فنرجـوك أن تفسـح المجـال لزعيـم آخـر»، فتأخـر تشرتشـل وتقـدّم مـن بعـده، ولم يقـل تشرتشـل لأمّتـه أنتـم خونـة كافـرون بالزّعامـة المتفانيـة!

أمَّـا زعـماؤكَ فقـد أثبتـوا فشـلهم المـرَّة بعـد المـرّة في مـدى ثلاثـين سـنة. فلـماذا لا نقـول لهـم: «لقـد فشـلتم وضـاع أكـثر الوطـن، ونريـد أن نجـرّب غيركـم فنرجوكـم أن تفسـحوا المجـال لطائفـة أخـرى!».

أيُّهـا الشَّـعب! أنـت الأمَّـة وأنـت صاحـب الوطـن، وعليـك تـدور الدَّوائـر إذا دارت. أمَّـا هـؤلاء السَّـادة فإنَّهـم بعـض الأمّـة وليسـوا سـادتها: ومـا ينبغـي لفـرد مـن أفرادهـا أن يدّعـي سـيادتها.

أيُّهـا الشَّـعب!! أثبـت قوَّتـك وأنقـذ نفسـك واسـحب ثقتـك المأخـوذة قـسرًا عنـك! لا لخـيرك أنـت، بـل لخيرهـم الخـاص.

الزّعيـم المخلـص خـادم أمّتـه، وأمَّـا هـؤلاء فقـد جعلـوك خادمًـا مسـخرًا! أيُّهـا الشَّـعب حـرّر نفسـك.

بين يدي الكتاب

•••

سـترون أقوامًا يتّخذون توحيد الكلمة سـتارًا لعوراتهم!!

فإذا قالوا ذلك،

فقولـوا لهم: وماذا تفعلون أنتم؟!

وهذه الوحدة تتمزَّق

على أسنَّة أقلامكم؟!

بسـم الله الرحمن الرحيم

مركب النَّقص

•••

قـال اللـه تعـالى، يعـير قريشـا ويبكتهـا، وينعـي عليهـا مركـب النقـص في نفوسـها، أن اسـتطارها الفـرح، واسـتخفها الطـرب، لنـصر أحـرزه الفـرس عـلى الرومـان!!

«غُلِبَـتِ الـرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُـم مِّـن بَعْـدِ غَلَبِهِـمْ سَـيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِـنِينَ لِلَّـهِ الْأَمْـرُ مِـن قَبْـلُ وَمِـن بَعْـدُ وَيَوْمَئِـذٍ يَفْـرَحُ الْمُؤْمِنُـونَ بِنَـصْرِ اللَّـهِ».

هـذه هـي الآيـات الكريمـات، وإن لهـا لقصـة، ينبغـي للشـعب أن يعرفهـا، ليعـرف تفسـير هـذه الآيـة الكريمـة، ومغزاهـا ومرماهـا، والـدرس البليـغ، الـذي يجـب أن يتلقنـه عنهـا.

وأمـا القصـة، فهـي أنـه كان في الحجـاز، في مكـة، طابـور أو طوابـير خامسـة، تخـدم مصالـح الـدول الاسـتعمارية القويـة في ذلـك الزمـان: الفـرس والرومـان.

وكانـت قريـش، ميالـة إلى جانـب الفـرس، كارهـة للنفـوذ الرومـاني، بسـبب مـا أصابهـم، وأصـاب اليمـن، مـن بـلاء عـلى أيـدي الأحبـاش، حلفـاء الرومان، وشركاؤهـم في الديـن المسـيحي!!

وكان النـضر بـن الحـارث القـرشي، قـد زار بـلاط كـسرى، وداس بلاطـه، وأكل طعامـه، ونـال جوائـزه وعطايـاه!! فـكان لذلـك أبلـغ الألسـنة في التحـدث عـن أمجـاد فـارس، وخـيرات بلادهـم، وتاريخهـم الحافـل بسـير الأبطـال،

والملوك الفاتحين. فكان يجلس في ظل الكعبة، ويدعو الناس إلى الابتعاد عن (محمد) وترك سماعه. ويقول لهم: أنا احدثكم عن قصص رستم واسفنديار، وطيماسب، وكيو كاسب، وكشتاسب! ومحمد يقص عليكم أنباء الغابرين. أمثال: آدم ونوح وشيث! وأن قصص محمد لهي أساطير الأولين، أما أنا، فها كم هو: أنه حديث أمجاد فارس، وأنباء سطوتها، وعظمتها، وجبروتها! ثم يخلص من ذلك كله إلى المفاضلة بين الفرس والعرب، وبين محمد وكسرى انو شروان، ويقول أبناء فارس هم بنو الأحرار، وأما العرب، هؤلاء الذين يريد محمد أن يفتح بهم الامصار، ويملك ما تحت يدي كسرى وقيصر، فأين جيوشهم الكثيفة وحصونهم المنيعة، وأموالهم الوافرة، إن محمدًا يوشك أن يؤلب على العرب الاقلاء الاذلاء، الضعفاء، أقوى قوة في المشرق وإنها لهي قوة كسرى!

وأما المؤمنون الصادقون، فكانوا يسخرون من التهاويل الكاذبة، ويرونها مجرد دعاية أجنبية مأجورة، وإنه ليس بعربي شريف نبيل، ذلك الذي يعتقد أن كسرى أعز من محمد، أو أن الفرس أكرم من العرب! فكانت عقول العرب وضمائرهم في صراع عنيف دائم، وتنازع مستمر بين الدعاية الفارسية والدعاية الرومانية وبين ثورة التحرير العربية.

وفي تلك الأثناء، وتحت ضغط هذه الظروف، وقعت الحرب المشهورة بين كسرى وقيصر، وأنتصر الفرس على الرومان، واستولوا على سورية وقسم من الأناضول، وقتلوا وأسروا، ونهبوا وسلبوا، وحرقوا ودمروا، ثم حملوا خشبة الصليب المقدسة، من بيت المقدس، إلى عاصمتهم

طيسفون، غنيمة حربية مقدسة، انتزعت من المغلوب إمعانًا في اذلاله والنكاية به، باحتجاز أقدس مقدساته الدينية في عاصمة المجوسية الوثنية.

ولا مجال لافتخار العرب بنصر أحرزه الفرس علي الرومان، كما أنه لا مجال لحزن العرب على انكسار الرومان!! لأنه لا شأن للعرب ولا فائدة من انكسار هذا، وانتصار ذاك!!! بيد أن النضر بن الحارث، واضرابه من دعاة الاستعمار الفارسي في بلاد العرب، قد اتخذوا من هذا النصر على الرومان، وسيلة قوية من وسائل الدعاية ضد الرومان المسيحيين الكتابيين، وضد المسلمين الكتابيين. وقال دعاة الاستعمار الفارسي للمسلمين الضعفاء: هذه حليفتنا القوية المسيطرة القهارة المظفرة، قد دحرت أصحاب الكتاب أمثالكم، ولسوف ترون طلائع الغزو الفارسي، تقتحم عليكم دياركم ثم تأخذكم أسرى، وترجع إلى بلادها، بعد أن تبيد الإسلام، وتفتك بالمسلمين. لكيلا يظل على وجه الأرض كافر بالأوثان وستكون الأرض قسمة بيننا وبين حلفائنا الشرفاء، لنا بلاد العرب، ولهم ما دون ذلك من أملاك الأرض في مشارقها ومغاربها.

ولا شك أنهم كانوا مغرورين فلو اقتحمت جيوش كسرى أرض العرب، لوضعت سيوفها في رقاب المشركين والمسلمين على السواء، ولدخلت بلاد العرب في حوزة الاستعمار الفارسي إلى الأبد. فإنه لا وفاء لقوي مع الضعفاء المستعبدين.

وكان جهاد (محمد) صلى الله عليه وسلم، فضلًا عن الدعوة لتوحيد

اللـه، لا شريـك لـه، ينـصرف أكـثره إلى اقتـلاع جـذور هـذه الخرافـة مـن القلـوب والعقـول العربيـة، خرافـة الصداقـة بـين الذئـب والحمـل، والقـوي والضعيـف. وليـزرع مكانهـا بـذرة الفضائـل العربيـة الإسـلامية. بـذرة الوثـوق باللـه والثقـة بالنفـس، والاعتـزاز بالعروبـة وتحريـم بـلاد العـرب أن تدنسـها أقـدام الأجانـب.

فـكان يقـول لهـم، أشـهدوا أنـه لا إلـه إلا اللـه فيسـلمون لـه بذلـك بعـد تـردد قليـل، ثـم يقـول لهـم وأشـهدوا أن محمـدًا رسـول اللـه إلى النـاس كافـة فيأبـون أن يقولوهـا!! لأنهـم لا يثقـون بسـيادتهم لأنفسـهم، لإنهـم يعتبرونهـا ملـك الزعـماء والأمـراء، وهـؤلاء رهـن إشـارة الأجانـب الأقويـاء. فكيـف يصـير هـذا العـربي الفقـير، زعيـمًا وقائـدًا وأسـتاذًا وسـيدًا لكـسرى وقيـصر؟! فهـذا هـو المسـتحيل!! وذلـك إحـدى ثمـرات مركـب النقـص المغـروس في نفـوس العـرب منـذ أجيـال بعيـدة!! ولنرجـع إلى الآيـة الكريمـة وقصـة نزولهـا: فقـد أقيمـت في مكـة وغيرهـا، معـالم الزينـة، مشـاركة وتملقًـا وتزلفًـا لكـسرى المنتـصر، وإغاظـة للمسـلمين! ولا شـأن للمسـلمين بهزيمـة الرومـان كي يغتاظـوا!! ولكنهـا العقـول السـخيفة!!

فقـال لهـم اللـه، وهـو أصـدق القائلـين. غلبـت الـروم إلـخ. ومعناهـا أن الـروم قـد غلبـوا، وأن الفـرس قـد انتـصروا، وقـد فرحتـم لذلـك ولكـن الهزيمة سـتحل بجيـوش فـارس، بعـد بضـع سـنين، فهـل عسـيتكم تكرهـون ذلـك، وتعتـبرون هزيمـة الفـرس كأنهـا هزيمتكـم أنتـم، كـما اعتبرتـم انتصارهـم، كأنـه انتصاركـم.

أمـا انتصـار الـروم عـلى الفـرس، فـلا شـأن للمسـلمين بـه ولا مـأرب، بيـد

أنـه ارهـاص بـين يـدي الفتـوح الإسـلامية إذ تندفـع خيـول المسـلمين فتـدك الحصـون الواهيـة. وتمـزق الجيـوش المتعبـة، وتحـرر الشـعوب المسـتعبدة، وقـد أضربهـا تنـاوب المظـالم الفارسـية والرومانيـة عليهـا، في بضـع سـنين.

فهـذه أفـراح المسـلمين، وتلـك اتراحكـم!! وأفـراح المسـلمين، هـي أفـراح الحريـة والعدالـة، وانتشـار نـور اللـه. وأمـا اتراحكـم، فإنهـا تفيـض مـن قلـوب قائمـة مسـتعبدة مسـترقة، خائفـة واجفـة، متملقـة للأجنبـي وشـتان مـا بـين أفـراح السـادة؛ وأفـراح العبيـد!!

العظيم لا يساوم

العظيم لا يساوم

•••

اجتمع نفر من سادة قريش، وتوجهوا إلى أبي طالب، ورجوه أن يكف أبن أخيه عنهم، فإنه قد آمن في تسفيه أحلامهم، وسب آلهتهم، وعيب آبائهم، والدعوة إلى نبذ دينهم الذي ألفوا عليه آباءهم، إلى دينه هذا الذي استحدثه، فاجتذب إليه الضعفاء والمساكين والفقراء. ثم آذنوا أبا طالب بالقطيعة، ومن بعدها الحرب، إذا لم يشاركهم هذا التعصب، للآباء والاجداد والارباب ثم انصرفوا!

وأرسل الشيخ القرشي إلى أبن أخيه يستدعيه، فلما حضر قال له أن سادة قومه، قد قالوا له كذا وكذا، وأردف يرجوه أن يشفق على شيخوخته وضعفه وقلة ناصره، فلا يورطه في مشاحنة أو حرب، لا طاقة له بها، أمام قوة قريش وكثرتها، وثروتها وتعصبها لأربابها المعبودة منذ مئات السنين!

وقد اعتبر محمد هذا القول من عمه، بداية تخليه عنه، ليكافح قريشًا في عزها وجبروتها، وشدتها، وكثرتها، وثروتها، فلم يرد على عمه قولًا، ثم أطرق يسيرًا، ورفع رأسه، والدمع يجول في عينيه! ويا لدمع النبوة من أغلاه ما دمع، وما أبلغ تعبيره!

ثم رفع النبي رأسه، وهو يعتقد أنه قد أنفرد في هذا العالم، لا يؤازره غير هذه الحفنة الضعيفة المستضعفة من فقراء المسلمين، وبعض الأغنياء! وكان التاريخ يرقب مصيره بعد هذه الإطراقة الباكية. هل يضعف النبي، فيتخلى عن دعوة الحق والنور والهدى، لأن شيخ بني

هاشـم، قـد لاح لـه رأي، فنصـح للنبـي أن يخالـف أمـر اللـه، ويطيـع أمـره، وألا ينتـصر باللـه بعـد أن خذلـه هـو؟! هـل يضعـف النبـي، أم يظـل كـما هـو، وكـما بـرأه اللـه، وكـما يجـب أن يكـون، قويًـا باللـه، عزيـزًا باللـه، واثقًـا باللـه، وبنـصره لـه؟!

رفـع النبـي رأسـه وقـال: يـا عـم، واللـه لـو وضعـوا الشـمس في يمينـي والقمـر في يسـاري، عـلى أن أتـرك هـذا الأمـر، حتـى يظهـره اللـه، أو أهلـك فيـه مـا تركتـه.

ثـم ولى باكيًـا، لا بـكاء جـبن أو خـوف، ولا خشـية الضيعـة وقلـة النصـير، فإنـه كان لا ينتـصر بغـير اللـه، وللـه، وفي اللـه. ولكنهـا دمـوع النبـوة، دمـوع البطـل ينفـرد وحـده في الميـدان بعـد أن تخـلى عنـه أقـرب الأقربـين! يبـكي القريـب المتخـاذل، ولا يبـكي نفسـه، ولا يبـكي فكرتـه!

هذا رجل

هذا رجل

•••

في الحرب الأخيرة، حين تكاتف ضباب الموت والفناء على الجزيرة البريطانية، كانت طائرات غيرنغ تدك معالم لندن دكا مبيدًا، بعد أن اثخنت بريطانيا بجراحات «دنكرك». وتألبت عليها القوى الجرمانية تريد سحقها!

جمع «تشرتشل» وزراء حربه وقال لهم: لم يبق لنا صديق نميل إلى رحابه، وهذا عدونا لا تنفك قواه الهائلة، تشد قبضتها الفولاذية على خناقنا، تريد سحقنا وإذلالنا. فيجب أن يكون واضحًا، أننا لا نتخلى عن المعركة حتى يخنقنا غبارها، وتحرقنا نارها. ولن ننيل عدونا القوي انتصارًا سهلًا!

وإذا قدر لهذه الجزيرة أن تخلو من حياة المجد الإمبراطوري، فإن ذلك لن يكون، حتى ننطرح على أرضها، ونشرق بدمائنا.

وبهذه العزيمة الفولاذية، خلق الرجل المفرد، من حطام الإمبراطورية ماردًا جبارًا، وصنع من الموت حياة، ومن الضعف قوة، ومن الهزائم انتصارًا. وسواء لدينا، أحببنا تشرتشل أم كرهناه، فالرجولة تحتم علينا الاعتراف بعظمته وبطولته. وما علينا إلا أن نكون مثله أو أعظم منه. ولكن، أين هو الزعيم من زعمائنا الذي يفكر على هذا النحو، ويستقبل المكاره بمثل هذه الشجاعة؟

وهذا رجل

وهذا رجل

•••

وحين كانت القوات الروسية تدك برلين دكا عنيفًا، وحين تمزقت الجيوش الألمانية، وظهر التفسخ في صفوف القادة والزعماء وبدأت المفاوضات السرية مع هملر من جهة، وغيرنغ من جهة أخرى أصر هتلر على البقاء في برلين. وكان وهو في ملجأ المستشارية منقطعًا عن قواته، وعن العالم أجمع، يصدر أوامره بالدفاع عن برلين، بيتًا بيتًا، وغرفة غرفة وقد أنفض أنصاره من حوله ولم يبق إلا الاقلون، مثل (بورمان) و(غوبلز) وبعض قواد وحدات الجيش الألماني المنهزم الممزق.

وكان أخوف ما يخافه أتباع هتلر المخلصون، وقوعه أسيرًا في قبضة الحمر الشيوعيين، ولذا كانوا ينصحونه، ويلحون في النصيحة، كي ينجو بنفسه من خطر الموت، أو الأسر في أيدي أعدائه الحمر المنتصرين. وكان باب النجاة مفتوحًا. ولكنه كان يرفض مغادرة برلين. وكان يقول: «إني كجندي، يجب علي أن أطيع أوامري بالدفاع عن برلين حتى النهاية» «يجب أن أقاتل عن برلين مثل أصغر جندي ألماني. ولست أكثر من ألماني».

وانتهت حياة هتلر. أو لم تنته، على النحو الذي أذيع في العالم. ودافع عن برلين حتى نهايته ونهايتها!! فهل يتعلم زعماؤنا من هتلر وتشرتشل التفاني في محبة الوطن؟! كلا!! لأنهم أحلام أطفال!!

إن زعماءنـا يعتقـدون أنهـم أشرف مـن الجهـاد في سـبيل الأوطـان وإن جهادهـم إذا جاهـدوا أن يصـدروا الأوامـر، ثـم يختبئـوا في القصـور الفخمـة والفيـلات الأنيقـة، ومـا عـلى الشـعب إلا ينفـذ الأوامـر المقدسـة.

لهـم الحيـاة ورغدهـا، والمجـد وتهاويلـه، والسـيادة (وعنطزتهـا) وعـلى الشـعب أن يتحمـل العـذاب. يجـوع ليشـبعوا، ويسـخو ليصـيروا أغنيـاء، ويتـشرد ليقبضـوا ثمـن تـشرده، ويسـجن ليكذبـوا أنهـم يواسـون السـجناء!! إنهـم يحسـبون أنفسـهم مـن طينـة الآلهـة. بيـد أن الإسـلام لا يعـترف بتعـدد الآلهـة. ولكـن مـاذا؟! إنهـم الزعـماء الأبـرار!!

لقـد هلـك هتلـر. وهـو يدافـع عـن برلـين، فهـل يسـتطيع واحـد مـن زعمائنـا أن يدلنـا عـلى جـرح في أصبعـه؟! لقـد هلـك هتلـر، ولكـن أعـداءه يعترفـون بشـجاعته، وإخلاصـه لفكرتـه. فمـن هـو الشـجاع المخلـص لفكرتـه مـن زعمائنـا؟! بـل مـن منهـم صاحـب فكـرة وعقيـدة؟!

من الجادّ ومن الهازل

من الجادّ ومن الهازل

•••

منـذ ثلاثـين سـنة، ونحـن نقـول، ونعيـد القـول، في الليـل والنهـار، حتـى لـو جمعنـا أقوالنـا وخطبنـا وتصريحاتنـا لمـلأت ألـوف المجلـدات. والقـول الـذي قلنـاه، ومـا نـزال نقولـه: هـو أننـا لـن نفـرط في شـبر مـن أرض الوطـن، وإننـا جـادون في اتخـاذ أنجـع الوسـائل لمنـع بيـع الأرض لليهـود.

ومنـذ ثلاثـين سـنة، واليهـود يقولـون، ولكـن أقوالهـم كانـت قليلـة بالنسـبة لأقوالنـا!! كانـوا يقولـون، بأنهـم مصممـون عـلى امتـلاك أرضنـا، مهـما حاولنـا منعهـم مـن ذلـك، ومهـما قامـت في وجوههـم مـن عقبـات وعراقيـل!!

ومنـذ هـذه الثلاثـين سـنة، ونحـن نبيـع الأرض واليهـود يشـترون منـا، لا مـن غيرنا.

وعلـة العلـل أننـا قـوم هازلـون، وأنهـم قـوم جـادون. ونحـن كاذبـون وهـم الصادقـون، وأن زعماءنـا مـن طينـة وزعماؤهـم مـن طينـة أخـرى.

نجاسة الذَّهب

•••

كان سيدنا محمد لا يلمس الذهب ولا الفضة وكان يمسك قطعة الذهب بين عودين، ثم يعطيها لأصحابه يغنيهم وهو أفقر الفقراء. فكانوا يقومون إلى عيالهم وقد امتلأت أيديهم بالذهب والفضة. ويقوم هو إلى أهله وقد نفض رداءه من غبار مجلس تنجس بالذهب!! فلا يجد في بيوته شيئًا يأتدم به إلا الخل والزيت، وألا بضع تمرات وكسرة من قرص شعير!! فما أعظم الفرق بين محمد الفقير، وبين زعمائنا عبيد الذهب والفضة؟!

ولو كانت فاطمة!

•••

سرقت امرأة من قريش، فكان حتم أن يقام عليها حد السرقة وهو قطع اليد التي امتدت فسرقت، وكان النبي وهو منفذ الشريعة العظمى، لا يستعجل في إيقاع العقوبة، بل يتريث، عسى أن يظهر جانب من الرأي يخفف العقوبة. ولكن البينة كانت قوية بحيث لا مجال للشك، ولا محل للرحمة. فقرر قطع يد القرشية المؤمنة المهاجرة في سبيل الله ورسوله.

وهنا تحركت النخوة القرشية في دماء المهاجرين، فتقدم بعضهم يشفع لسرقتها عند النبي، فغضب!! ويا لله من غضبة النبي لحق من حقوق الله، أو حد من حدوده، وقال للشفعاء من كرام قريش وجلة المهاجرين: والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها!!

وفي القصة عبرتان: عدم إيقاع العقوبة لمجرد الشك، وعدم التهاون في حدود الله ولو كان المذنب هو فاطمة بنت محمد!!

ترى!! أين نحن من هذه الأخلاق؟! الا ما أبعدنا عن دين النبي إذا رضينا بالقتل!! وما أبعدنا عن أخلاق محمد إذا تهاونا عن الأقارب المجرمين واشتددنا على الخصوم الأطهار!!!

الزَّعيم الزَّاهد

•••

عرضت رئاسة جمهورية (هندستان) على المهاتاما غاندي! الزاهد العابد المتقشف إلى درجة تقارب تقشف الأنبياء. إذ ليست له سيارات ولا قصور، ولا أموال مستوره، ولا أقارب يبيع دماء شعبه لإشباع شراهتهم.

لم يقبل غاندي رئاسة جمهورية تضم أكثر من مئتي مليون. بل رشح لهذا المركز العظيم السامي فتاة من المنبوذين؟! وعندي أن هذا الرجل النحيف الضامر الضاوي، نزيل السجون لا نزيل القصور قد ضرب المثل الأعلى لزعماء هذا الزمن، في التجرد عن الشهوات والمطامع.

ترى؟ أين زعماؤنا المسلمون من غاندي الهندوسي الوثني؟!

دجال سياسيّ

•••

كان سيف بن ذي يزن، رجل قصير النظر، كبير المطامع، ناقص الرجولة، سيء التفكير!!

وكانت بلاد اليمن قد وقعت تحت حكم الأحباش المستعمرين وكان سيف ذا مطامع. وأبعد مطامعه أن يكون هو ملك اليمن. بيد أنه أختار الصراط الأعوج على الصراط المستقيم. فلم يستنفر قومه لحرب الأحباش وطردهم من وطنه. بل ذهب إلى القسطنطينية ليطالب من قيصرها جيشًا رومانيًا ليفتح اليمن ويطرد الأحباش منها، ويكون هو ملكًا عليها تحت حكم البيزنطيين!! ولكن قيصر لم يأمنه على جيشه، ورده من بابه خائبًا. لأن الزعيم الذي يرضي لأمته عيش الذل والعبودية والاستعمار تحت حكم الأجنبي لا خير فيه ولا يؤتمن.

فرحل سيف إلى كسرى يطلب منه جيشًا ليفتح اليمن ويطهرها من نجاسة الاستعمار، ويضيفها إلى أملاك كسرى الواسعة على أن يكون هو ملكها، تحت حكم ملك الملوك. شأنه في ذلك شأن المناذرة ملوك الحيرة. ولكن كسرى نظر إليه محتقرًا مزدريًا، ثم أعطاه مالًا وصرفه بالتي هي أخزى!!

وخرج سيف من مجلس كسرى ينثر الذهب والفضة على رؤوس الفقراء، وما كان أكثر الفقراء تحت حكم الطغاة والمستبدين. ولما نقل خبره إلى كسرى غضب من عمله فناداه، وعاتبه على قلة أدبه

واستخفافه بمنحة الملك. ولكن سيفًا قال: وماذا أصنع بالذهب والفضة؟ وحجارة بلادي ذهبًا وفضة؟! وتعجب كسرى من ذلك، ولكنه ضحك ساخرًا، وقال: إذا كانت بلادكم هكذا، فلماذا لا تموتون في الدفاع عنها وحمايتها.. فإن لم تفعلوا ذلك لنفاستها فليكن ذلك منكم لقداستها ثم أعطاه جيشًا من القتلة والسفاحين والمجرمين واللصوص عددهم ثمانمائة مجرم وقاتل ولص. غرق منهم في بحر العرب مئتان، ووصل إلى شواطئ عدن ستمئة!! وهؤلاء الستمئة «٦٠٠» قاتلوا جيش الأحباش وعدده مئتي ألف «٢٠٠.٠٠٠» مقاتل من الأحباش وكندة وحمير. فانتصرت القلة على الكثرة. ومنذ ذلك اليوم دخلت اليمن في حوزة الاستعمار الفارسي، وظلت كذلك حتى حررها النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

لا تستحقون محمدا!!

•••

جاءني الألماني «وولتر» جاري في معتقل بغداد يسأل ويقول: قد عرفت فائدة الصلاة والزكاة والحج. ولكن ما هي فائدة الصوم؟ ماذا يفيد الله أو يفيد المجموع الإسلامي أن تظل جائعًا عطشانًا!! فقلت له إنك إذا كنت شبعانًا فإنك لا ترحم الجائع، وأما إذا قرص الجوع احشاءك «وكنا نجوع كثيرًا، حتى لقد جعت أربعة أيام لا أذوق فيها طعامًا، وكان هو يلحس بلسانه بقية الطعام من الطابق» أما إذا قرص الجوع احشاءك فإنك ترحم الجائع وتطعمه إذا امتلأت يدك ببعض خير الله.

فانتفض الألماني (وولتر) ووقف كأنه يحيي قائدًا، وقال: صدقني أيها العربي المسلم!! ولا تلمني إذا قلت الحق. صدقني أن النبي محمد كثير عليكم وأنه حرام أن يكون منكم، أو أن تكونوا كذبا من أمته؛ ولو كان ألمانيًا لأقمنا له في كل بيت تمثالًا من الذهب!! فضحكت وقلت له: ولكنه كان يكره الذهب، وكان يكره التماثيل. وكان لا يمسك الذهب بيده لئلا تتنجس!!

فانتفض وقال: وهذه أيضًا؟! ولكنكم تعبدون الذهب وتبيعون شعوبكم وأوطانكم بجنيهات الورق لا بجنيهات الذهب؟!

تركي يقول:

يوم كنا في بلاد الأتراك، أراد القوم إزاحة الستار عن تمثال نصفي لبطل نهضتهم (أتاتورك) يعني (أبو الأتراك) وأقاموا لهذه المناسبة

حفلة استعراض، تلقى فيها الخطب. وأردنا نحن العرب المعتقلون: هناك أن نتملق القوم: فصنعنا إكليلًا من الزهر وتأنقنا فيه حتى جاء أبدع تحفة يتفتق عنها الذهن. خارطة بلاد العرب في موضع كل مدينة زهرة جميلة. وحملناه وذهبنا إلى ساحة مدينة سيواس. ووقفنا!!

وكان القوم أجلافًا. وكان خطيب المدينة بذيئًا قليل الأدب وكنا نحن اذلاء ضعفاء لا نستطيع ردًا ولا صرفًا!!

وقف خطيب المدينة يعرض بنا ويقول: إن جيراننا العرب قد حاربونا، وقتلوا رجالنا بالاشتراك مع الأوروبيين. وكان جزاؤهم على هذه الخيانة عادلًا. فقد رزحت بلادهم تحت وطأة الاستعمار الإنجليزي والفرنسي. وهاهم يقفون معنا، ليشهدوا آثار البطولة التركية. لقد اعتمدنا على أنفسنا، وطردنا المستعمرين بحرابنا وسواعدنا. فظللنا سادة كرامًا أحرارًا!! أماهم، أم جيراننا العرب فقد قعدوا على طريق الفاتحين، يستجدون الحرية، فكان نصيبهم العبودية؛ ثم التشرد!!

مطية المستعمر

•••

أراد عمـرو آكل المـرار أن يكـون ملـكًا؛ وأن يجعـل أولاده ملـوكًا. ولكـن كيـف يؤسـس هـذه المالـك وأيـن؟

وكانـت شـيوعية «مـزدك» الفـارسي، قـد ذرت قرونهـا في أرض فـارس وأنـت تعلـم أن دولـة المنـاذرة في الحـيرة؛ كانـت خاضعـة للفـرس وملـك الحـيرة يومئـذ والمنـذر أبـن مـاء السـماء، ففاوضـه كـسرى «قبـاذ» ليدخـل في شـيوعية مـزدك؛ فلـم يقبـل؛ فأمـر بخلعـه عـن الملـك، وطـارده في كل صقـع ليقـضي عليـه؛ ولكـن فـرار المنـذر بشرفـه، أنقـذه مـن المـوت كـما أنقـذ الأعـراض العربيـة أن تتلـوث برأيـه ورضـاه.

وهكـذا سـنحت الفرصـة لعمـرو الكنـدي؛ فدخـل في شـيوعية مـزدك، هـو وأولاده، وأكـره العـرب في العـراق والجزيـرة عـلى إباحـة أموالهـم وأعراضهـم. وأجلسـه كـسرى عـلى عـرش الحـيرة، وفـرق أولاده ملـوكًا في قبائـل العـرب. ومنـذ يومئـذ شـاعت بـين العـرب عـادة وأد البنـات؛ فـرارًا مـن قـذارة الشـيوعية المزدكيـة المجلوبـة إلى مضـارب العـزة والكرامـة. بسـيوف كنـده ورمـاح سـيده كـسرى. ولكـن دولـة الظلـم لا تـدوم. وجـاء يـوم تدمـير المزدكيـة عـلى يـد كـسرى أنـوشروان وطـورد عمـرو وآلـه، حتـى اقتيـد أربعـين منهـم إلى الحـيرة مصفديـن في الأغـلال. فذبحهـم المنـذر، بعـد أن رجـع إلى ملـك آبائـه. وقدمهـم قرابـين بشريـة لمعبـوده فينـوس (Venos) الزهـرة.

وكان حجـر بـن عمـرو، ملـكًا عـلى بنـي أسـد، فقتلـوه ولفـوه في خرقـة بيضـاء ورمـوه عـلى الطريـق تنهشـه كلاب الصحـراء. وورث امـرؤ القبـس هـذه الثـارات الضخمـة. وهـا قـدر أيثـم أن الملـك إذا تأسـس منحـة مـن الأجانـب لا يـدوم. وأن المبـادئ الأجنبيـة لـن تكتـب لهـا الحيـاة في بـلاد العـرب.

(الـشر ولا الخير على يدك)

•••

كان أبـو جهـل (عمـرو بـن هشـام المخزومـي) يكـره محمـدًا النبـي ولا يكـره محمـدًا الرجـل. فـيرضى مثـلًا أن يكـون محمـد بـن عبـد اللـه سـيدًا مـن سـادات قريـش، ولم يـرض أن يكـون محمـد النبـي سـيد النـاس أجمعـين. مـن ذلـك أنـه قـال، وقريـش تـراود نفسـها كي ترجـع عـن حـرب محمـد، طالمـا قـد سـلمت العـير، ونجـت بتدبـير داهيـة بنـي أميـة، أبي سـفيان بـن حـرب. فقـال أبـو جهـل: لا واللـه لـن نرجـع حتـى تكـون الحـرب، فقـال الاخنـس بـن شريـق مـن بنـي زهـره اخـوال النبـي: ومـاذا تنقـم عـلى الرجـل وقـد حسـم خلافـه معكـم فهاجـر عـن قريتكـم، فأجابـه أبـو جهـل: «لقـد أطعـم بنـو هاشـم فأطعمنـا وحملـوا فحملنـا، فلـما تحاذينـا عـلى الركـب كفـرسي رهـان. قالـوا منـا نبـي يأتيـه الوحـي مـن السـماء، فمتـى يكـون لنـا مثـل هـذا؟!»

فقـال لـه ابـن شريـق: فهـو الحسـد إذًا!! واللـه لا أحـارب محمـدًا معكـم، ثـم أنسـحب ومعـه بنـو زهـرة فلـم يشـترك في معركـة بـدر زهـري قـط.

فأبـو جهـل إذن يكـره أن يتحـرر العـرب مـن الوثنيـة ومـن عبوديـة الفقـر والجهـل، عـلى يـد محمـد النبـي، ولا يكـره أن يكـون محمـد الرجـل سـيدًا مـن سـادات قريـش!!

وهكـذا بعضنـا يكـره الخـير إذا جـاء مـن فـلان ويـرضى بالـشر إذا رضي بـه فـلان. لا ينظـر للخـير عـلى أنـه خـير، ولا إلى الـشر عـلى أنـه شر. بـل ينظـرون إلى فـلان وفـلان. ولـو اغضبـوا اللـه وخفضـوا الحـق ورفعـوا الباطـل، فـما أبعـد هـؤلاء مـن خلائـق محمـد، ومـا أقربهـم إلى خلائـق أبي جهـل!!

المشئوم!!

•••

كان امرؤ القيس الكندي الشاعر، مشئومًا، لم يرحل إلى مكان إلا وشؤمه معه. وكان يحارب النعمان وكسرى، طلبًا لثأر أبيه وجده وأعمامه، دعاة الشيوعية المزدكية بين العرب. وقد أصيب أخواله التغلبيون بشؤمه، فنفوه عنهم، ثم رحل إلى غيرهم وغيرهم أستبدل بالملك المؤثل شويهات، إذا ما قام حالبها ترن!!

واستطال شؤم المشئوم حتى نزل باليهودي السمو أل بن عاديا وهذا أيضًا قد رأى ابنه يذبح أمامه، من شؤم جاره الطريد!! ثم دله على (جو ستنيان) إمبراطور بيزنطيا فرحل إليه، يطلب منه جيشًا بيزنطيًا يقهر به العرب الأحرار الكرام الاباة. فأعطاه جيشًا ثم ألحقه بالحلة المسمومة، فمات من قروحه بجوار أنقره. فلم ينج هو نفسه من شؤمه. ولم ينج بيت الإمبراطور من شؤمه، ومن عقدة الشيوعية التي انفجرت في دمه ففجر بالإمبراطورة وأبنتها فغارت الأم، وقتلت أبنتها وغريمتها في غرام الملك الضليل.

وهكذا الأفاقون!! يغادرون أرض الوطن، لا فرارًا من العسف كما يكذبون، بل جريًا وراء عرش ذليل تبنيه لهم جيوش أجنبية مستعمرة. ثم لا يتورعون عن نهش الأعراض في غفلة أو غيبة حماتها!! وهكذا كل مشؤم، ما حل بأرض إلا أخربها بشؤمه، ولؤم طبعه!! اللهم حوالينا ولا علينا.

الملك العبد!!

•••

بعد استقرار الحكم الحبشي في اليمن، شرع ابرهة، يمهد الأمور لحكم الجزيرة برمتها. وفي كل عصر وصوليون. أمثال (كويز لنج) هذا الزمان.

وكان أجرأ الوصوليين في ذلك العهد رجل مغامر نهاز للفرص اسمه ابن حزابه فرأى الفرصة سانحة، والريح مواتيه، ومن ثم فقد رحل إلى صنعاء، ونزل بباب الطاغية ابرهة الأشرم، وشرع يفاوضه في قسر العرب على الخضوع لحكم الأحباش، وعلى الدخول في النصرانية، بشرط أن يتوجه ملكًا على (مضر)!! فنسج له ابرهة تاجًا من الخرز والودع. وهما أغلى جواهر العبيد!! ولبس أذل ولا أحقر ولا أسفل من ملك نسج له المستعمرون تاجه!!

وكان رجل من بني مراد، قد أطلع على السر، فتربص بالملك المزيف، ابن حزابة، ورشقه بسهم مزق قلبه!!

وهكذا نجت مضر من ملوكية زائفة مجرمة. بفضل سهم ذلك المرادي الحر. وكان مقتل أبن حزابة من جملة أسباب زحف أبرهة على مكة عام الفيل.

عصمة النبي

•••

في يـوم بـدر نـزل النبـي بجيشـه، وقـد جعـل الآبـار بينـه وبـين قريـش. فجاءه الحباب أبـن المنـذر أبـن الجمـوح فقـال لـه: يـا رسـول اللـه: «أرأيـت هـذا المنـزل، أمنـزلا أنزلَنـاه اللـه فليـس لنـا أن نتقدمـه ولا نتأخـر عنـه، أم هـو الـرأي والحـرب والمكيـدة؟!»

فقـال الرسـول: (بـل هـو الـرأي والحـرب والمكيـدة) قـال: «يـا رسـول اللـه فـإن هـذا ليـس بمنـزل فانهـض بالقـوم حتـى تـأتي أدنى مـاء مـن القـوم فتنزلـه، ثـم نغـور مـا وراءه مـن القلـب، ثـم نبنـي عليـه حوضنـا فنمـلأه مـاء، ثـم نقاتـل القـوم، فنـشرب ولا يشربـون» فقـال رسـول اللـه صلى اللـه عليـه وسـلم: «لقـد أشرت بالـرأي» فنهـض رسـول اللـه ومـن معـه مـن النـاس حتـى نـزل كـما أشـار الحبـاب بـن المنـذر.

فهـذا هـو النبـي سـيد المسـلمين، وأعظـم عبقـري في فنـون الحـرب والتدبـير يعـترض عـلى رأيـه صحـابي مـن أتباعـه، فـلا يـرى في هـذا الاعـتراض تهجـمًا عـلى قداسـة النبـي ولا عصمتـه ولا عظمتـه ولا زعامتـه ثـم لا يتكـبر النبـي، وهـو سـيد المؤمنـين وقائدهـم أن يقـول للمعـترض عـلى رأيـه: (لقـد أشرت بالـرأي) الأصـوب.

وهـذا هـو النبـي المعصـوم بنـص الشريعـة. فكيـف حـال زعامتنـا التـي تطالـب لنفسـها بحقـوق العصمـة. مـع أنـه لا نبـي بعـد محمـد، ولا عصمـة لمخلـوق فكيـف نعطـي النـاس فـوق حقوقهـم؟!

أمرهم شورى

•••

في غـزوة أحـد كان رأي النبـي أن يتحصـن المسـلمون بالمدينـة لأنـه لا طاقـة لهـم بحـرب قريـش العظيمـة في العـراء.

ولم يسـتبد النبـي برأيـه في هـذه القضيـة الهامـة، بـل عقـد مجلسـه الحـربي، المؤلـف مـن الشـيوخ والشـبان. وكان يبـدو للشـبان أن التحصـن داخـل المدينـة أمـر ينطـوي عـلى الخـوف، بيـد أن الشـيوخ كانـوا عـلى عكسـهم إذ كانـوا عـلى يقـين بـأن النبـي لا يشـير بـرأي إلا كان هـو الأصـوب وطـال الجـدال حـول أي الرأيـين هـو الأصلـح! الخـروج لملاقـاة قريـش في العـراء، أم المكـوث في المدينـة والتحصـن خلـف بيوتهـا؟! وأخـيرًا انتـصرت نظريـة الشـبان، وقـام النبـي إلى بيتـه وهـو كاره، فتقلـد سـلاحه، وخـرج إليهـم والحـرد ظاهـر عليـه.

وفي أثنـاء غيبتـه، تـلاوم النـاس! وعاتبـوا الشـبان المتهوريـن عـلى اكراههـم النبـي عـلى مـا يكـره!! فحـين خـرج النبـي عليهـم متقلـدًا سـلاحه ألقـى إليـه الشـبان بالطاعـة وندمـوا عـلى إصرارهـم وعرضـوا موافقتهـم عـلى رأيـه فـأبى عليهـم ذلـك!!

١) لأنـه لبـس سـلاحه، ولا يجـوز لنبـي تقلـد سـلاحه أن يلقيـه حتـى يحكـم اللـه بينـه وبـين أعدائـه (مَـن مِـن زعمائكـم تقلـد سـلاحه كـما تقلـد النبـي سـلاحه؟) .

٢) لأن قـرار الخـروج قد أبرم نزولًا علي رأى الأكثرية.

فيجـب تنفيـذ قرارهـم حتـى ولـو كان خـلاف رأي الرئيـس ولـو كان الرئيـس نبيًـا (مَـن مِـن زعمائكـم يحـترم حريـة الـرأي مثـل النبـي؟).

٣) لأن رجـوع الأكثريـة عـن رأيهـا وقرارهـا لا يقـع إلا تحـت ضغـط أو اكـراه. ومعـاذ اللـه أن يـرضي النبـي بالضغـط أو الاكـراه لا عـلى الأكثريـة ولا عـلى الأقليـة (مـن مـن زعمائكـم لا يكـره النـاس عـلى اتبـاع رأيـه؟!)

٤) لأنـه يجـب أن يكـون قـدوة المؤمنـين في كل أمـر، ولـو كان فظًـا غليـظ القلـب لانفضـوا مـن حولـه (مَـن مِـن زعمائكـم يتشـبه بالنبـي؟)

وهـذا هـو النبـي مـرة أخـرى، يقبـل الجـدال والنقـاش والمشـورة (وأمرهـم شـورى بينهـم). وينـزل عـلى رأي الأغلبيـة وهـو كاره، لأن أمـر المؤمنـين شـورى بينهـم. لا اسـتبداد، ولا إكـراه ولا ديكتاتوريـة.

فهـل تـرون زعامتنـا قريبـة مـن أخـلاق النبـوة، أم بعيـدة عنهـا بعـد أبي جهـل عنهـا؟

البطل

•••

وفي غـزوة أحـد، وفي غـزوة حنـين، تعـرض النبـي لمكـروه القتـل، وقـد شـاع خـبر قتلـه في أحـد. وثبـت وحـده تقريبًـا في غـزوة حنـين!!

وكان رأسـه هـو المطلـب الأوحـد لأعدائـه المشركـين. ولـو قتـل في إحـدى الغـزوات لانفـرط عقـد الإسـلام، ولذهبـت الدعـوة بـددًا كالمـاء يـراق في كثيـب الرمـال. ذلـك بانـه لم يكـن ملـكًا ولا أمـيرًا ولا زعيـمًا، إذا مـات أو قتـل، قـام ورثتـه بالأمـر مـن بعـده. كلا بـل هـو نبـي يأتيـه وحـي اللـه. فـإذا مـات أو قتـل، قبـل اكتـمال الديـن أنقطـع الوحـي وذهبـت الرسـالة، وزال الديــن.

وكان هـو، وأصحابـه، وأعـداؤه عـلى السـواء يعلمـون ذلـك. ولهـذا السـبب كان المشركـون يحرصـون عـلى قتلـه دون سـواه!! ولكـن هـذا كلـه لم يثنـه عـن حمـل السـلاح والاشـتراك في المعـارك، أو إدارتهـا مـن صميـم الميـدان.

ولـولا لطـف اللـه لقـضى نحبـه في معركـة أحـد!! ولـولا ثباتـه في وجـه هـوازن، يـوم حنـين، لبلـغ المسـلمون في فرارهـم شـاطئ البحـر عـلى أحـد تعبـير أحـد القرشـيين!!

مـن هـو الزعيـم الـذي حمـل السـلاح مـرة واحـدة؟! أم تراهـم يعتـبرون حياتهـم أغـلى مـن حيـاة النبـي محمـد الـذي كان يحمـل سـلاحه ويحـارب أعـداءه؟! مالـك أيهـا الشـعب؟ أسـأل نفسـك، وأجـب نفسـك؟!

لو!!؟

•••

لـو فرضنـا عـلى أنفسـنا، منـذ نكبنـا بالانتـداب أبي الصهيونيـة، أن يدفـع كل فـرد منـا قرشًـا واحـدًا في الأسـبوع مـدى ثلاثـين سـنة لتوصلنـا إلى النتائـج التاليـة.

ولنفـرض أن عددنـا كان مليونًـا مـع التجـاوز ففـي الثلاثـين سـنة ٣٦٠ شـهرًا، ٣٦٠ في ٤ يسـاوي ١٤٤٠ قرشًـا يدفعهـا الشـخص في مـدى ثلاثـين سـنة، ١٤٤٠ في ١,٠٠٠,٠٠٠ يسـاوي ١,٤٤٠,٠٠٠,٠٠٠ فالمجمـوع هـو أربعـة عـشر مليونًـا واربعمئـة ألـف جنيـه

لـو أجتمعـت لنـا هـذه الملايـين، ولنفـرض أنهـا عـشرة، إذا لم تكـن أكـثر، فهـل كان اليهـود يسـتطيعون شراء شـبر مـن أرض الوطـن؟!

ولكـن الشـعب، قـد تـبرع في مناسـبات كثـيرة بسـخاء لا يصـدق، فأيـن ذهبـت الأمـوال؟!

وهـذا هـو السـؤال الـذي يوصـم صاحبـه بالخيانـة بيـد أننـا نتمسـك بالقـول المأثـور: لا عصمـة إلا لنبـي؟! فهـل زعماؤنـا معصومـون؟!

هل ارتشوا؟!

شركـة كهربـاء روتمـبرغ تربـح في السـنة ملايـين الجنيهـات، كلهـا مـن نصيـب اليهـود. وفي عقـد امتيـاز الشركـة، نـص عـلى حـق العـرب في امتـلاك ثلثـي أسـهمها. ولقـد طرحـت هـذه الأسـهم في السـوق، وطلـب مـن العـرب

شراؤهـا لتغطيتهـا. وقـد رفضـوا ذلـك بداعـي أنهـا مشـانق الوطـن. (لأن لهـا أعمـدة)!!

وتفصيـل الحكايـة أن الزعامـة، كانـت يومئـذ تتمثـل في اللجنـة التنفيذيـة للمؤتمـر لا أدري عـدده (كام) فهـذه اللجنـة. وكان يقـال عنهـا سـخرية (لجنـة الخالديـن) تشـبيهًا لهـا ومضاهـاة (بالأكاديميـة الفرنسـية) وتسـمى لجنـة الخالديـن خلـود علـم ومعرفـة، لا خلـود (زعـبرة) (وتهجيـص).

وقالـت لجنـة الخالديـن يومهـا أن أعمـدة روتمـبرغ هـي مشـانق الوطـن، وأصـدرت أوامرهـا المطاعـة الخرقـاء إلى الشـعب السـاذج المطيـع فلـم يشـتر واحـد مـن العـرب سـهمًا رغـم محاولـة بعضهـم الخـروج عـلى هـذا القـرار الـذي أثبتـت الأيـام جهـل وحماقـة أصحابـه. وأتهـم هـؤلاء البعـض بالخيانـة وبالرشـوة مـن اليهـود. مـع أن اليهـود كانـوا يحقـدون عـلى حكومـة الانتـداب بسـبب هـذا الـشرط الموضـوع لمصلحـة العـرب ودفـع اليهـود ألـوف الجنيهـات لترويـج هـذه الأكذوبـة عـن الداعـين لـشراء الأسـهم. ويقـال والله عـلام الغيـوب أن عـددًا مـن الشـخصيات الكثـيرة قـد مـلأت أيديهـا مـن أمـوال اليهـود، لـصرف العـرب عـن شراء أسـهم روتمـبرغ.

ونجحـت مكيدة اليهود. وأثمرت جهالة العرب.

وتكدسـت الملايين فوق الملايين لا في جيوبنا، بل في جيوب اليهود.

مـا أطيـب عنـصر هـذا الشـعب الـذي ينقـاد إلى زعمائـه ولـو قـادوه إلى الفقـر والدمـار!!

جعلته بطلًا

•••

بعد خروج النبي وصحابته إلى لقاء المشركين في أحد، لم يبق في المدينة إلا النساء والأطفال والا بعض المنافقين. أو أغرار الشبان!!

وكان (قزمان) أحد هؤلاء المتخلفين، اهتبلها فرصة ليخلو إلى حبيبته، في نجوة من العذال والمنافسين. وكانت هي تظنه في غمار المعركة يذود عن العرين.

وجاء قزمان يطرق عليها الباب، فأطلت من وراء الباب أنامل قد صبغها الحناء وأهدابًا قد كحلها الله. وسألت: من!! فأجابها ورجفة الحب تزلزل كيانه. قزمان!!

وأجفلت الحبيبة وقالت: وي!! وما شأن قزمان بين النساء والولدان؟! حسبتك بطلًا تمزق قلوب المهاجمين!!!! هل فررت من المعركة جبانًا، أم قعدت هنا مع الخوالف، تطمع أن أنولك نظرة؟! إليك عني فلست أحب جبانًا ولا قعددًا!! اذهب وقاتل مع قومك عن الدين والأحساب والأنساب!!

وانفتل الشاب إلى بيته، فتقلد سلاحه، وخاض غمار المعركة حتى قتل من المشركين تسعة نفر! ثم اثبتته الجراحات، وخر من أركانه صريعًا يعالج سكرات الموت!!

وكان قزمان منافقًا، فلم يقاتل مع النبي دفاعًا عن الدين بل قاتل، وقتل، ثم أثخنته الجراح حتى لفظ أنفاسه، دفاعًا عن الوطن، وعن الأحساب والأنساب.

لا يريد ملكًا

•••

قال عتبة بن ربيعة، وكان من سادات قريش وعظمائها، وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله جالس وحده في الحرم: (يا معشر قريش، الا أقوم لمحمد، فاكلمه وأعرض عليه أمورًا لعله يقبل بعضها، فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا؟! فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه؟!! فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يا ابن أخي. إنك منا حيث قد علمت من السطة (المنزلة الرفيعة) في العشيرة، والمكان في النسب!! وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم. فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها) فقال رسول الله «قل يا أبا الوليد أسمع» قال عتبة:

يا أبن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت إنما تريد به شرفًا، سودناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا. وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه (يعني مجنونًا)

حتى إذا فرغ عتبه من عروضه السخية هذه ورسول الله يسمع منه قال له: (أقد فرغت يا أبا الوليد؟!) فاستمع مني، قال افعل، فقرأ

الرسـول عليـه: (بسـم اللـه الرحمـن الرحيـم) حـم تنزيـل مـن الرحمـن الرحيـم. كتـاب فصلـت آياتـه قرآنـا عربيًـا لقـوم يعلمـون. بشـيرًا ونذيـرًا فاعـرض اكثرهـم فهـم لا يسـمعون، وقالـوا قلوبنـا في أكنـة مـما تدعونـا إليـه) ثـم مـضى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فيهـا يقرؤهـا عليـه فلـما سـمعها منـه عتبـة أنصـت إليـه، وألقـى يـده خلـف ظهـره معتمـدًا عليهـا يسـمع منـه. ثـم انتهـى رسـول اللـه إلى السـجده منهـا فسـجد. ثـم قـال: لقـد سـمعت يـا أبـا الوليـد مـا سـمعت. فأنـت وذاك)

فقـام عتبة مبهوتًـا متعجبًا. ورجع إلى قومه يقول لهم ويقول:

وهـذا النبـي الـذي لا يريـد ملـكًا ولا مـالًا ولا سـيادة. ولـو أرادهـا كلهـا لنالهـا بالمفاوضـة عـن يـد عتبـه، أو بتأييـد اللـه كـما وقـع لـه حـين ظفـر بخضـوع العـرب لكلمـة اللـه.

بيـد أنـه (محمد)!! وما أبعد زعماؤنا عن محمد!

ندم!!

•••

قال سيف بن ذي يزن لعبد المطلب بن هاشم رئيس وفد قريش، حين ذهب إلى صنعاء، لتهنئة الملك الحميري، بتحرير اليمن من استعمار الأحباش، بمساعدة (٦٠٠) ستمئة مجرم فارسي:

الآن، وبعد فوات الأوان أدركت أنني كنت مخطئًا إذ ظننت بالأجانب خيرًا. لقد طردنا الأحباش من اليمن! وأبدنا جموعهم وقتلنا طاغيتهم! بيد أننا لن نتحرر! إذًا قد انتقلنا من عبودية الأحباش إلى عبودية الفرس! وهيهات أن نطرد هؤلاء الأسياد الجدد!

لقد كنت مجرمًا في حق وطني وأمتي، لأنها صارت تعتقد في نفسها الضعف والتقصير، عن مهمة التحرير السامية. ولقد كان لانتصار الستمئة فارسي على المائتي ألف حبشي تأثير سيء، أضعاف عبودية مئتي ألف سنة. إن شعب اليمن لا يصدق أنه جدير بالنظر إلى مواطئ أقدام بني الأحرار!

فقال له عبد المطلب: عهدي بباب صنعاء مرتفعًا عاليًا فلماذا انهدم؟ فقال سيف: لقد أبى قائد الفرس تنكيس راية الأحرار المنتصرين فأمر بالباب أن يهدم فهدم. ودخلت راية الفرس المقدسة مرفوعة! لا تميل ولا تنحني! وانحنت جباهنا تحت أقدام هؤلاء المستعمرين!!

ثـم قـال: أنظـر يـا عبـد المطلـب! تـر حـراس قـصري مـن العـرب والفـرس والأحبـاش. لأن الفـرس يخشـون فـراري إلى عدوهـم قيـصر بيزنطيـة، ليطردهـم ويسـتعمر اليمـن بعدهـم. فهـم يحرسـونني كيـلا أفـر إلى عدوهـم. ثـم يكذبـون فيزعمـون أنهـم يحرسـونني لتوفـير الهيبـة الملكيـة!

أمـا العـرب فقـد أقمتهـم حراسًـا لحمايتـي مـن كيـد الفـرس. فلهـا رأوا أننـي قـد غـررت بهـم، وخدعتهـم عـن حريتهـم، وجلبـت لهـم ذلًا جديـدًا يفرضـه الفـرس عليهـم، انقلبـوا أعـداء لي يتحينـون الفـرص لقتـلي وتطهـير الوطـن المقـدس مـن جرائـري.

لقـد صرت أخـاف قومـي بعـد أن صرت في نظرهـم دجـالًا ملكيًـا ودليـل اسـتعمار فـارسي. فلجـأت كارهًـا إلى أعـدائي القدمـاء. لجـأت إلى الأحبـاش كي يحرسـونني مـن الفـرس والعـرب. «وقـد قتلـه هـؤلاء الأحبـاش بعـد ذلـك!»

ثـم قـال: «أيمـا زعيـم تخـلى عـن أمتـه تتجـرع وحدهـا مـرارة الظلـم والعبوديـة، ثـم رحـل إلى الـدول الأجنبيـة، يسـتعين بجيوشـها لطـرد المسـتعمرين مـن وطنـه، وليقيمـوا لـه عرشًـا يخضـع لأوامرهـم. فإنمـا هـو دجـال مـزور كـذاب إنـه عـدو الحريـة. فالحريـة لا تؤخـذ مـن أيـدي الغـزاة الفاتحـين بـل تجنـى بسـيوف المجاهديـن، فلسـت أنـا وليـس أمثـالي مـن السـابقين أو اللاحقـين، إلا دعـاة هزيمـة وسـماسرة اسـتعمار، وتجـار عبوديـة في طيالـس الملـوك وأرديـة الأمـراء.

إن الزعيم المحرر المنقذ هو الذي يمتشق حسامه ويحارب مع بني وطنه جنبًا إلى جنب، فإما أنتصر على أعدائه، وحرر وطنه فذلك هو المحرر المنقذ وتلك هي الحرية، وذلك هو الإنقاذ وإما قتل، فتلك الشهادة العظمى بأنه بطل، وبانه قد افتدى حرية وطنه وسعادة أمته، بروحه، وحياته، وبانه قد شارك أمته في بلوائها ومصائبها وجهادها!!

وكل زعيم جانب خطة الكرام الأحرار الأبطال هذه، فإنما هو كاذب مزور دجال!!

مجاهد حقيقي

•••

الأمير عبد الكريم الخطابي، بطل المغرب مجاهد عربي أصيل لا زيف فيه.

فلقد جاهد بأمواله وبنفسه وأهله وعشيرته فاشترك في المعامع وخاض المعارك، محاربًا حقيقيًا مثل بقية المحاربين.

ولم يؤثر عنه أنه تناول مالًا من دولة أجنبية، ولا لجأ إلى دولة أجنبية، كي تستعمر بلاده بدلًا من الأسبان والفرنسيين، بل حاول تحرير المغرب بسواعد أهل المغرب، وبدماء أهل المغرب أنفسهم وقد وقع في أيدي أعدائه أسيرًا، فأساؤوا معاملته، ونفوه إلى جزيرة (رينون) الساحقة شرقًا في المحيط الهندي.

لقد هزموه لأنهم أقوياء، ولأنه ضعيف فعاملوه معاملة الأسد الجريح يخشون بأسه، ولا يتهمون شجاعته وطهارة يده، ونقاوة تاريخه، وصدق جهاده ولا عيب ولا عار ولا مذمة على الضعيف إذا حارب الأقوياء فتغلبوا عليه.

ولقد سمعه العالم العربي وهو ينفي معاونة الأجانب له في جهاده وإنما كان قصاراه أن يقهر أعداءه في المعارك، فيستولى على سلاحهم وذخائرهم، ثم يحاربهم بها فيضيف إلى أمجاده السابقة أمجادًا جديدة.

وهـذا هـو سـبب خـوف الفرنسـيين والأسـبان مـن اسـتعادته للحريـة بلجوئـه إلى حمـى الفـاروق.

الخليفة القتيل

أمـا عثـمان بـن عفـان، فـإن تاريخـه الحافـل بجلائـل الأعـمال، و جهـاده الطويـل في سـبيل اللـه بمالـه ونفسـه، وصهـره لرسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، وأنـه كان سـفيره إلى قريـش يـوم الحديبيـة، وأن رسـول اللـه قـد عـزم عـلى القتـال حـين بلغـه أن قريشًـا قـد قتلـت أبـن عفـان كل هـذه المآثـر والمحامـد لم تشـفع للخليفـة الثالـث عنـد الـرأي الإسـلامي العـام، عندمـا تهـاون عثـمان في إقامـة حـد السـكر عـلى أخيـه في الرضاعـة وعندمـا قـرب إليـه طريـد رسـول اللـه، مـروان أبـن الحكـم، وأطلـق يـده في إدارة الدولـة، يبيـح أمـوال بيـت مـال المسـلمين لبنـي أميـة وحدهـم، ويقطـع حقـوق المجاهديـن عنهـم وعـن عيالهـم. ويأمـر بقتـل محمـد بـن أبي بكـر، وغـيره مـن زهـرات المجتمـع الإسـلامي الثائـر، ضـد تصرفـات مـروان المنكـرة.

ولقـد طولـب عثـمان بتقديـم مـروان للمحاكمـة فـأصر عـلى حمايتـه زاعـمًا أن التطـاول عـلى بطانتـه يعتـبر تطـاولًا عليـه نفسـه! ناسـيًا أن مـروان بـن الحكـم ليـس هـو الخليفـة، وأن الخليفـة هـو عثـمان. وأن الـذي لا يرهـب الخليفـة لا يرحـم أبـن الحكـم!

ومـا كان المسـلمون يتهمـون عثـمان في دينـه ومروءتـه، ولا صـدق إيمانـه، ولا جهـاده السـابق في سـبيل اللـه ورسـوله! كلا! بـل كانـوا يتهمـون بطانتـه الفاسـدة، وعـلى رأسـها طريـد رسـول اللـه مـروان بـن الحكـم وقـد ثبـت

تلاعبه واستخفافه بحقوق المسلمين وحياتهم وأموالهم فكيف يجوز لخليفة رسول الله، أن يقرب إليه عدو من أعداء رسول الله؟!

وكانت اليد اليهودية تشحذ سيوف الثورة! وتفرق بين قلوب المسلمين، وعلى الرغم من ضعف عثمان ومحاصرة الثوار له في داره، فإنه لم يتخل عن حماية المتهمين في دينهم وسيرتهم ونقاوة

تاريخهم وطهارة أيديهم.

وأخيرًا أنتصر الجنون على التعقل، والثورة على السلم، وتسور فريق من الثائرين بيت الخليفة واقتحموا عليه مخدعه، وقتلوه وهو صائم يقرأ القرآن.

وهذه قوة الرأي العام لا يقف أمامها مركز ولا منصب. ولا صدق جهاد، ولا سابق صحبة لرسول الله، ولا مصاهرة له أيضًا.

لا نستعين بالأجانب

•••

حـاول اليهـود قبـل الإسـلام أن يؤسسـوا لهـم دولـة في الحجـاز، تكـون عاصمتهـا يـثرب (المدينـة المنـورة) وكانـت لهـم فيهـا جاليـة قويـة تشـد أزرهـا جالياتهـم المنتـشرة في خيـبر؛ وفـدك وتيـماء! وكانـوا قـد مهـدوا لهـذه المملكـة بنـشر أخبـار مـوسى، وخوارقـه، وقوتـه وعظمتـه ضاربـين صفحـا عـن أنـه تلقـى دروس الرجولـة والبطولـة عـن النبـي العـربي شـعيب في (مديـن)!! وذلـك بعـد فـراره مـن مـصر حـين قتـل فيهـا رجـلًا.

ولقـد نبـغ في اليهـود ملـك ظـالم فاسـق فاجـر بطـاش؛ اسـمه (الفيطـون) إذ كانـت لـه عـلى رعيتـه اليهـود فريضـة، لا يتنـازل هـو عنهـا. ذلـك أنـه كان يختـلي بالعـروس سـاعة قبـل أن تـزف إلى زوجهـا! فـلا الـزوج يرفضهـا، ولا يحميهـا أهلهـا!!

وكان الأوس والخـزرج؛ يقيمـون في يـثرب جيرانًـا لليهـود بعـد نزوحهـم عـن اليمـن عقـب انهيـار سـد مـأرب. والأوس والخـزرج عـرب كـرام؛ يفتـدون أعراضهـم بالمهـج والأرواح ويريقـون دماءهـم عـلى شـبا الاسـنة، وظبـي السـيوف، دفاعًـا عنهـا وصيانـة لهـا. ويـا ويـل مـن تحدثـه نفسـه بإذالـة العـرض العـربي المصـون!!

وبينـما كانـت الأوس والخـزرج جلوسًـا في ناديهـم، إذ خرجـت أخـت «مالـك بـن العجـلان» أحـد زعمائهـم متفضلـة (بثيـاب البيـت التـي لا تظهـر بهـا المـرأة أمـام الغربـاء) فنظـر إليهـا القـوم متعجبـين منكريـن أن تخـرج

عـذراء متصونـة، عـلى هـذه الهيئـة الفاضحـة. وأغضـب ذلـك أخاهـا، فقـام إليهـا يلومهـا ويعنفهـا عـلى مـا فعلـت. وغضبـت العـذراء وقالـت لأخيهـا، عـلى مسـمع مـن قومهـا: ومـاذا يعنـي أن خرجـت هكـذا؟! ومـا يصنـع بي غـدًا أفظـع!! أزف إلى غـير زوجـي!! إلى هـذا اليهـودي الفاسـق الفاجـر!!

وكتـم مالـك ضلوعـه عـلى أمـر عظيـم، فلـما كانـت ليلـة زفـاف أختـه، حملـت إلى قـصر الملـك اليهـودي «الفيطـون» ليخلـو بهـا في مخدعـه سـاعة؛ يقـضي منهـا وطـره الخسـيس، ثـم يلقيهـا إلى زوجهـا نفايـة مرذولـة، قـد أنتهـك عرضهـا؛ وثلـم شرفهـا، ومـزق حياؤهـا!!

وكان مالـك قـد تدسـس بـين النسـاء في ثيـاب امـرأة، وقـد اشـتمل عـلى سـيف مشـحود مسـنون! فلـما خـلا المخـدع إلا مـن الملـك الفاجـر، والا مـن العـروس المجلـوة. بـرز مالـك مـن وراء الاسـتار وأغمـد سـيفه البتـار في قلـب اليهـودي الفاجـر. ثـم حمـل أختـه وفـر تحـت أسـتار الليـل إلى نـادي قومـه يبشرهـم بمقتـل (الفيطـون).

وكان اليهـود قـوة مسـيطرة في الحجـاز عامـة، وفي يـثرب خاصـة، فاعتـبروا مـصرع ملكهـم تعديًـا عـلى كرامتهـم القوميـة بـل اعتـبروه خروجًـا وثـورة مـن الرعيـة المقهـورة عـلى الملـك القهـار!! ومـن ثـم وضعـوا سـيوفهم في رقـاب الأوس والخـزرج، فقتلـوا منهـم مقتلـة عظيمـة، حتـى كادوا يبيدونهـم!!

ولا بـد في مثـل هـذا الموقـف، أن يتلفـت الضعيـف المغلـوب، إلى أبنـاء عمومتـه الأقويـاء، ولـلأوس والخـزرج عمومـة في الشـام، قـد صـاروا ملوكهـا، وهـم بنـو غسـان، ولهـم في اليمـن أرومـة، مـا يزالـون فيهـا ملـوكًا هـم

التابعـة. فلـم يـروا لهـم مناصًـا مـن الاسـتغاثة بهـؤلاء وهـؤلاء!!

فأرفـدوا إلى الشـام الرمـق بـن زيـد شـاعرهم العبقـري المجيـد، وأرسـلوا إلى اليمـن مالـكا فاتكهـم الصنديـد!!

وجـاء أبـو جبلـة الغسـاني بجيـش عظيـم مـن العـرب، يشـد أزر إخوانـه العـرب في يـثرب، فشـفي حـرده وانتقـم مـن الدخـلاء الفجـرة لقتـلى الأوس والخـزرج! وقتـل مـن اليهـود عـددًا عظيـمًا.

وجـاء الغـوث مـن اليمـن، يقـوده الملـك التبعـي، (تبـان أسـعد) فأصـاب هـو الآخـر مـن اليهـود خلقًـا عظيـمًا، حتـى لقـد خـشي اليهـود أن يفنـوا عـن آخرهـم.

لم يـول عـرب المدينـة وجوههـم شـطر كـسرى ولا قيـصر، لأنهـم غربـاء، ولا ينتقـم غريـب لغريـب، ولا ينـصر أجنبـي أجنبيًـا. وإنمـا قصـاراه أن أعـان واغـاث أن يتقـاضى عـن العـون والاغاثـة، الحريـة والسـيادة والاسـتقلال. فيضيـف إلى الضعـف، والقلـة، والهزيمـة: العبوديـة والاسـتعمار، والسـيادة الأجنبيـة.

وكانـت غـزوة (تبـع) هـذه سـببًا مـن أسـباب اعتناقـه الديانـة اليهوديـة. وهـذا الـذي جـرى لـه، كان سـببًا في ثـورة حاطمـة، أبـادت فريقًـا كبـيرًا مـن رعيتـه، وغرسـت في أرض اليمـن بـذور الفـتن والدسـائس والثـورات. ثـم كانـت هـذه كلهـا جرثومـة الاسـتعمار الحبـشي لليمـن.

هل نعتبر؟!

•••

لكيما يتأكد العرب في هذه الأيام، أن تعاونهم مع الأجانب لا يفيدهم مطلقًا، بل يعطي هؤلاء الأجانب فرصًا متاحة، لتولي أمورهم، أي استعبادهم واستعمار بلادهم، وقهرهم وإذلالهم، ومحاولة ابقائهم ضعفاء، ليظلوا مستعبدين أذلاء، أسوق إليهم قصة الخلافة العباسية، وكيف أنها استعانت بالفرس، وعلى رأسهم الداهية الطموح الفتاك أبي مسلم الخراساني، لإسقاط الدولة الأموية ونقل الخلافة إلى بني العباس.

ولقد نجحت المؤامرة. وتقوض بناء المجد العربي الصرف، وزالت العزة العربية بزوال هذه الدولة العربية العظيمة. وانتقلت الخلافة إلى العباسيين! في جو من الشكوك والريب والمخاوف والتآمر والاغتيال! وتبييت النية الفارسية على انتهاز الفرصة الأولى لانفصال خراسان عن مركز الخلافة، وإعادة مجد آل ساسان.

ولقد ثبت لأبي جعفر تآمر أبي مسلم عليه وعلى دولته وعلى آل البيت، لأن أبا مسلم كان يزعم أنه من نسل الأكاسرة الساسانيين، وأن هؤلاء أشرف من العرب ومن العباسيين!!

ولقد ظلت الخلافة العباسية بعد مصرع أبي مسلم الخراساني هدفًا للمؤامرات الفارسية المتكررة، وكانت أهمها مؤامرة البرامكة لقلب الحكومة، والاستيلاء على ذلك الارث الإسلامي الضخم، في زمن الخليفة هارون الرشيد، وقد انتهت على نحو روائي مثير.

وفي أيـام المعتصـم، وكانـت أمـه تركيـة خيـف عـلى الإمبراطوريـة الضخمـة مـن مطامـع الفـرس، فلجـأ هـذا الخليفـة إلى أخوالـه الأتـراك ليحمـوه ويحمـوا خلافتـه وإمبراطوريتـه العربيـة العباسـية مـن دسـائس الفارسـية ومؤامراتها، ولم يلجأ لأهله وعشيرته العرب، وكان العهد قد تطاول على إهمالهم وازدرائهم وإقصائهم عن إدارة الدولة وقيادة الجيوش؛ بتدبير الفرس وخنوع الخلفاء، فرجعوا إلى الجزيرة ليصونوا أصولهم بعد أن أوشك ملكهم على الضياع.

وعلى يد المعتصم أخذ النفوذ التركي يقوى ويشتد ويعظم في إدارة الدولة؛ بل وفي بيعة الخلفاء وخلعهم. حتى لقد انحط مركزهم وهانت كرامتهم على هؤلاء الأتراك، أنهم قتلوا واحدًا منهم (بالقباقيب) وأنهم أجبروا واحدًا منهم على الوقوف تحت الشمس في حر الظهيرة، (وفي بغداد) والعياذ بالله من حر بغداد.

ثم كانت سيئة المطاف أن انتقلت الخلافة إلى الأتراك وصار الخليفة هو الرب الأصغر!! أستغفر الله ولا إله إلا الله!

ماسح أحذية أعقل من زعمائنا

•••

أرمني بسيط، صناعته ماسح أحذية؟! هذا الأرمني روى لي قصته مختصرة! فقد روت له جدته أن الجنود الأتراك، اختطفوا والدته وقتلوا أباه، وظل هو يتيم الأب ولا يدري هل ماتت أمه، أم عاشت مكرهة على ما يأباه الشرف والكرامة!!

هذه قصة مؤلمة ومثيرة، وليست العبرة في أنها كذلك، ففي الدنيا مظالم وآثام يسود منها وجه الشمس وتنقض السموات، لو كانت تنقض لمظالم البشر وآثامهم!

ولكن العبرة التي أرويها للزعماء، هي حصافة هذا الأرمني البسيط، وهو يعقب على قصته مستطردًا منها إلى قصة وطنه وأمته! وكلنا يعلم فظاعة المذابح التي وقعت للأرمن، أثناء الحرب الأولى الماضية وتشريدهم تحت كل كوكب. فهذا الأرمني البسيط، ماسح الأحذية، يقول، وقوله يصلح أن يكون لنا درسًا وموعظة الشعب ومن قبله الزعماء.

يقول ماسح الأحذية الأرمني: لقد قتل الأتراك رجالنا وهتكوا أعراضنا وشردونا وصادروا وطننا!! لقد فعلوا ذلك وظنوا أن المسألة قد انتهت وأن بساطها قد انطوى إلى الأبد!! ولكنهم مخطئون!! فنحن نترقب الفرص لثأر لقتلانا ونسترجع أرضنا. وإذا متنا نحن، لقنا أطفالنا هذا الدرس، وعرفناهم الطريق!

ومـن الجائـز أن أمـوت أنـا، أو يمـوت غـيري آلاف الأرمـن ولكـن الشـعب الأرمنـي لا يمكـن كلـه أن يمـوت. وكذلـك الأتـراك لا يمكـن أن يموتـوا كلهـم. وإذًا سـيأتي يـوم لاريـب فيـه فنقتـل منهـم أضعـاف مـا قتلـوا منـا، ونسـترد، وطننـا، ونؤسـس دولـة، ونعامـل أعداءنـا معاملـة تنسـينا فواجعنـا!!

أرأيـت أيهـا الشـعب المضيـع، كيـف يتلقـن المظلومـون دروس الحقـد والكراهيـة ونيـة الثـأر والانتقـام؟!

فلـو كانـت لزعمائنـا حصافـة هـذا الأرمنـي السياسـية لقالـوا لعصبـة الأمـم البائـدة، ولدولـة الانتـداب القويـة (أنتـم تريـدون سـلب وطننـا ليأخـذه اليهـود) وقـد تقـدرون عـلى ذلـك لأنكـم أقويـاء ولأننـا ضعفـاء فافعلـوا الآن مـا تمليـه القـوة عليكـم. خـذوا فلسـطين بأكملهـا، وانقلـوا يهـود العـالم إليهـا، بعـد أن تطردونـا منهـا. ولكـن!! يجـب أن تتأكـدوا أن القـوي لا يظـل قويًـا، وأن الضعيـف لا يمكـن أن يظـل ضعيفًـا، وسـيأتي يـوم لا ريـب فيـه، نسـتكمل فيـه قوتنـا ويومئـذ نعـرف كيـف نثـأر لأنفسـنا، وكيـف نسـترد وطننـا المصـادر، وكيـف نعاملكـم كأعـداء اذلونـا، وطردونـا مـن أرضنـا، ليعطوهـا لليهـود، ويومئـذ تـرون أنتـم ويـرى اليهـود معكـم مصيركـم المحتـوم.

فلـو قـال زعماؤنـا هـذا القـول، أو شـبهه بـشرط أن يكـون أقـسى منـه، ثـم سـكتوا عـن البرقيـات والاحتجاجـات، والمفاوضـات والمخابـرات، والثـورات والاغتيـالات، لأخافـوا العـالم كلـه. بضعفهـم الشريـف العزيـز المتربـص عـلى نيـة الثـأر والانتقـام مـن الأعـداء الغاصبـين.

أمـا هـذا التفكـير المشـلول. والتغامـز مـع الإنجليـز مـن وراء الكواليـس. وأمـا مـا سـبق ذلـك مـن الثقـة بالعدالـة البريطانيـة، وبـأن الإنجليـز ليسـوا أعداءنـا، لأنهـم كانـوا أثنـاء الحـرب حلفاءنـا والتمسـك بعـداوة اليهـود، ثـم المطالبـة بالاسـتقلال التـام أو المـوت الـزؤام. ثـم وفي نفـس الوقـت المطالبـة بـإدارة المعـارف وحدهـا!! فهـذه بهلوانيـات وسـخافات صبيانيـة لا تقبـل مـن السـادة الأجـلاء، أيهـا الشـعب المضيـع المظلـوم!! أجـبر زعـماءك أن يقولـوا لهيئـة الأمـم المتحـدة هـذا القـول، إذا كانـت لديهـم الشـجاعة. تـر العجـب! منهـم ومـن الإنجليـز ومـن اليهـود، ومـن الضمـير العالمـي المفقـود!! ولكنهـم لا يقولـون ذلـك، لمـاذا؟! اللـه أعلـم.

مات فقيرًا شريفًا

•••

استشهدت ثروة الحاج يعقوب الغصين قبل أن يستشهد هو بسنوات! فقد دخل المعركة وهو أوفر أقرانه ثراء، ثم لم يخرج من المعركة، بل ظل فيها. وهو أوفرهم فقرًا بالمال، واغناهم ثروة شرف وكرامة، ونظافة يد، وطهارة سريرة، ونقاوة سيرة!! ومات وهو محبوب محترم، ولا أقول موضع شفقة، لأنه لم يكن ضعيفًا، وإن كان لم يكن مخيفًا. فلم يحشد حوله عصبة تهدد الخصوم الأشراف.

أما أقرانه، فقد دخلوا السوق فقراء، ولم يخرجوا منه، لأنهم صاروا أثرياء، وهل يتخلى التاجر الثري، عن البيع والشراء، إذا كانت السلعة ما تزال معروضة، للبيع والشراء؟! وأقول السوق سوق البيع والشراء، لأني شهدتهم (يتفاصلون) على دمائنا في دمشق وشتورة وحلب وبيروت!! ولو تمت الصفقة لقبضوا مئات الألوف ولكنها لسوء حظهم لم تتم، ولم تنجح المساومات. وما يزال الذين احبطوها لموضع السخط والنقمة. وإن كانوا يفتخرون بذلك الموقف الشريف.

ومات الحاج يعقوب الغصين، الميتة المكتوبة على كل حي. أما تجار الدماء والاكفان، ودموع الأرامل والأيتام، فما يزالون في وهمهم ووهم الناس أحياء، ولكنهم قد ماتوا منذ زمن طويل!! ماتوا موت شرف وشهامة وكرامة وأمانة وطنية. ولا عبرة بالأزياء والألقاب، ولا عبرة

بذيـوع الصيـت!!! وأي مسـلم لا يعـرف أبـا جهـل وأبـا لهـب؟! ولكـن أي معرفـة؟!

لم يمـت الحـاج يعقوب، ولكنهم هم الميتون!!

يردون على النبي
فهل نرد على زعيم؟!

•••

تباطأ بنو الحارث بن كعب في قدومهم على رسول الله ليعلنوا إسلامهم، فندب إليهم خالدًا بن الوليد، ليدعوهم إلى الإسلام، فإما أجابوا، وأما قاتلهم حتى يدخلوا في دين الله. لأنه لا يجوز أن يسكن في الجزيرة غير مسلم!!

وقد دعاهم أبن الوليد إلى الإسلام، فدخلوا في دين الله، ولم يقاتلوا. فبعث خالد من رؤسائهم وفدًا ليبايعوا رسول الله، فقدموا عليه فلما رآهم قال: (من هؤلاء القوم الذين كأنهم من رجال الهند)؟! قيل: يا رسول الله هؤلاء رجال بني الحرث بن كعب. فلما وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: «نشهد أنك رسول الله، وأنه لا إله إلا الله» قال رسول الله: «وأنا أشهد أنه لا إله إلا الله، وأني رسول الله» لاحظ الفرق بين شهادتهم وشهادته! لقد ذكروه قبل أن يذكروا الله، أما هو فقد شهد لله بالوحدانية، وشهد لنفسه بالرسالة:

ثم قال لهم: أنتم الذين إذا زجروا استقدموا؟! فسكتوا فأعادها عليهم أربع مرات، وهم سكوت. ثم قال له يزيد بن عبد المدان، من رؤسائهم. «نعم يا رسول الله. نحن الذين إذا زجروا استقدموا» وأعادها أربع مرات. فقال رسول الله: «لو أن خالدًا لم يكتب إليّ أنكم اسلمتم، ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم»!! فقال يزيد:

«أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالدًا، قال: فمن حمدتم»؟! قالوا حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله» قال «صدقتم».

وكان هذا الجواب الحق قد أزال غضب النبي. فأنه رسول الله، والفضل الله وحده في هداية الناس إلى الإسلام، وفي انتشار الدين، لا للنبي ولا للصحابة، ولا للمجاهدين. ولأنه رجل شريف شجاع، ويعجبه أن يكون الناس شجعانًا شرفاء!!

ثم قال رسول الله: بم كنتم تغلبون من قاتلكم، قالوا: وكنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله أنا كنا نجتمع ولا نفترق. ولا نبدأ أحدًا بظلم، قال: «صدقتم».

فهذا هو النبي مع بني الحرث. خاشنهم فخاشنوه، وتحرش بهم فتحرشوا به، ولولا سبق إسلامهم لقتلهم. ولكنهم قد أسلموا والرسول كان يقول: (من قتل نفسًا مؤمنة فكأنها قتل الناس جميعًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا).

ولقد ظنوا أنه يفتخر عليهم بهدايتهم للإسلام، فنسبوا الفضل في إسلامهم إلى الله وحده، ولا فضل له، ولا لخالد في هدايتهم للإسلام. ولا حمد له، ولا لخالد كذلك. وإنما الحمد لله على أن هداهم به!! فهو إذًا سبيل الهداية، ودليل الرشاد ليس غير.

وقد كان يوشك أن يزداد غضبًا لولا كلمة الحق هذه!! فأفحم، وقال صدقتم. وهل تظنون أن قدر النبي قد أهين حين نسبوا الفضل لله في إسلامهم، ولم ينسبوه إليه، فسكت بل لم يسكت، بل قال لهم صدقتم؟!

فالنبـي كان يعتـبر نفسـه قائـدًا لجنـود اللـه، ولم يعتـبر المسـلمون جنـوده، يقاتلـون مـن أجـل رفعتـه ومجـده الشـخصي، ومطامعـه الدنيويـة. كلا!! فلـم تكـن لمحمـد مطامـع دنيويـة!!

ومـا قولكـم في زعيـم قـال لـه أحـد المجاهديـن: «نحـن معـك، مـا دمـت مـع الحـق! ونحـن خصومـك إذا حـدت إلى الباطـل. ونحـن جميعًـا وأنـت معنـا جنـود اللـه» مـا قولكـم إن ذلـك الزعيـم، قـد غضـب عـلى ذلـك الرجـل، ومـا زال غاضبًـا؟! فـما أبعـد المسـافة بـين النبـي وأتباعـه مـن قـادة المسـلمين!!

الظالم جبان!!

•••

عندما يتحدث القرويون عن الطغاة الظالمين، وخوفهم من العقلاء المجربين، وما يتوسلون به للقضاء على هؤلاء العقلاء، لأن وجودهم خطر على سيادتهم ونفوذهم. لأن الظالم المستبد شديد الخوف من يقظة الأمة وتنبه الرأي العام ومعرفته ما يدور على رأسه من المؤامرات والدسائس والمظالم، والاختلاسات والتلاعب وابتزاز الأموال، والمتاجرة بالدماء والدموع والاكفان، فيضربون لذلك مثلًا، «مظالم المشاقي» وخوفه من كل عاقل أريب.

وحكاية هذا (المشاقي) الظالم، أنه أمر الشبان بقتل آبائهم الذين تجاوزوا سن الأربعين.

وكانت حجته الظاهرة أمام الناس أن الدهر قد أكل عقولهم وأنهم لذلك لا خير فيهم!! أما السبب الحقيقي لهذا الظلم الغريب فهو خوفه من المجربين والعقلاء، لأن أكاذيبه وأساليبه، وخزعبلاته، واحتيالاته، لا تجوز عليهم. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد تفتق ذهنه الإجرامي، عن إشراك الأبناء بقتل آبائهم ليكونوا هم القتلة ولا يكون هو القاتل. ولو فرضنا أن محكمة ما، أرادت مجازاته، تخلص من هذه المسؤولية على أيسر سبيل!! وهكذا كان يظن!!

وقد جازت الخديعة، على أكثر الشبان، واطاعوا الأمر الظالم فقتلوا أباءهم بأيديهم، فضاع العقلاء، وظلت الرعية كلها جهلاء من الذين لا

يعرفون القرد من النبي!! الذين يعتبرون أمر الزعيم كأنه وحي منزل على رسول الله!

ولكن شابًا كان برًا بوالده فأخفاه ولم يقتله!! وهذا الشاب وأمثاله يوصفون بأنهم مجرمون خونه، خوارج منشقون غير مخلصين في تنفيذ أوامر الزعيم! والحق أنهم أحرار عقلاء. ولكن الزعماء يحقدون على أحرار الفكر والعقلاء.

وكان (المشاقي) الظالم المستبد، يجمع الشبان الجهلة، ويسخرهم ليحصدوا الهواء!! ويظلون طول النهار يحصدون الهواء! ولا شيء سوى الهواء!!

ولم يكن في البلد رجل عاقل مجرب، يعرف أن هذه السخرة إن هي إلا عبث في العقول والكرامات، غير ذلك الكهل الذي أنجاه بر ولده به من الموت قتلًا! ولو كان فيه عقلاء كثيرون، لكان حالهم مع (المشاقي الظالم) غير حال الجهلاء الأغرار الذين يسخرون ليحصدوا هواء!! ولا يعرفون أن الهواء لا يحصده غير المجانين.

وفي ذات يوم سأل الرجل الكهل ولده عما يشتغلون طول النهار. فقال الشاب:(نحصد هواء، ونغمر لا شيء!! والتغمير بلغة الفلاحين، هو جمع الحصاد).

وتعجب الشيخ، وكان قد شاخ من هذه الأحلام الطائشة والرجولة المهانة والعقول المحقرة والجهود الضائعة والشباب الخانع، والاستسلام الضعيف، والفتوة المبعثرة والأهواء المفترقة، والخضوع والاستسلام، والذل والهوان، أمام مشيئة رجل ظالم، يقتل همة الشبان، ويضيع

أوقاتهم، بحصاد الهواء، وتغمير الهواء، ثم لا فائدة من هذه الجهود الضائعة، ولا أمل في الخلاص من هذا الظلم المفروض.

وقد خطرت للوالد الشيخ فكرة، وكان يعلم أن جزاء الولد الذي لا يقتل أباه، أن يقتل معه، ثم تصادر أمواله وأملاكه، كان يعلم ذلك، ولكنه أعتقد، أن العيش في بلد الاذلاء والعبيد، حرام، وأن الموت خير من الحياة، تحت كابوس العسف والإرهاق والارهاب؛ فقال لولده: إذا جاء سيدكم (المشاقي) يراقب اجتهادكم في العمل، فاجعل نفسك كأنك تأخذ سنبلة من الهواء، ثم تفركها بين كفيك، ثم تنقيها من التبن، ثم أجعل نفسك كأنك تضع حبها في فمك!!

وكان الابن، لطول عهده بالخضوع والخنوع والذل والعبودية قد تعود تنفيذ الأوامر، كما تلقى إليه، لا يسأل، ولا يجادل، ولا يناقش، ولا يفكر بينه وبين نفسه، في صواب ما يلقى إليه من الأوامر أو خطئها، عدلها أو ظلمها، وعقلها أو جنونها وقربها من الله أو بعدها منه، ولهذا كله، سمع كلمة أبيه، ونفذها في الغد، كما أوصاه بها. ولم يظن أن (المشاقي) الظالم سوف يسأله عن معنى هذا العمل الغريب!! ولقد سأله المشاقي حقًا. ولكنه لم يعطه جوابًا. بل وقف يرتجف من الخوف. وأدرك (المشاقي) الظالم؛ ولا مانع أن يكون الظالم عاقلًا، وإن كان يخشى تعقل العقلاء!! أدرك أن في بيت هذا الشاب شيخًا عاقلًا، قد علمته الأيام، أنه لا فائدة تجنى من حصاد الهواء!! فأرسل أعوانه وزبانيته، ليفتشوا عن ذلك الرجل المجرب في بيته، وبالطبع قد وجدوه، فحملوه إلى سيدهم الظالم، مكتوفًا، والكرابيج تشوي ظهره!! وحينما

رآه ابنه على هذه الحالة المثيرة، بكى بين يديه، وحلف له أنه لم يش به (للمشاقي) فقال له الشيخ: أنا أصدقك قبل أن تحلف، وأعلم أن هذا الحاكم رجل عاقل. وقد كنت أنتظر زبانيته؛ كي يحملوني إليه فيقتلني ويقتلك واتخلص من العيش في بلد الاذلاء والجهلة العبيد!! وهنا جاء دور المشاقي، ليسأل الشيخ عن السر فيها أوحى به لابنه أن يصنعه، فقال الشيخ: وما معنى أن تسخر الشبان، هذه السنين الطويلة كي يحصدوا هواء، ويغمروا هواء؟! قال المشاقي ولكن كيف يفرك لا شيء ثم ينفخ عليه كأنه ينظفه من التبن، ثم يأكل هذا اللاشيء؟! هل أنت مجنون؟

قال الشيخ: لست مجنونًا، وإنما المجنون واحد غيري، فأما أنت الذي تأمر شعبك أن يحصد هواء، وأما شعبك الذي يقبل الضحك على الذقون!! وفي الحق أنك مجنون لأنك تبعثر جهود الشبان في عبث لا يغني ولا يفيد، وأن شعبك مجنون لأنه يقبل لنفسه هذا الهوان.. ولو كنتم عقلاء لتوجهتم إلى العمل المنتج المفيد. وبالإضافة إلى جنونك، فأنه ينقصك الإخلاص لنفسك ولوطنك ولو كنت مخلصًا لما رضيت أن تكون زعيمًا لزمرة من القتلة والمجرمين.

وأدرك المشاقي أنه كان على ضلال، فندم على مآثمه، واستبقى الشيخ العاقل، بل وقربه إليه فجعله وزيره ومستشاره، وأنعم على ولده البار بأبيه، وعاقب الأبناء القتلة بتأبيد الأشغال الشاقة يحرثون الأرض ويزرعونها ويحصدون غلتها، ويستخرجون خيراتها، فاثرى وتقدمت بلده؛ وصار بعد ذلك، مضرب المثل في الرأفة والرحمة وحسن السيرة،

والمهـارة في انتهـاز الفـرص، واسـتغلال الجهـود فيـما يفيـد، بعـد أن كان مـضرب المثـل في الظلـم والقسـوة والاسـتهتار بحقـوق اللـه، وحقـوق النـاس.

وهكـذا أيهـا الشـعب، فـإن عاقـلًا واحـدًا، مخلصًـا جريئًـا، يسـتطيع أن يكـره الظـالم المتعسـف عـلى الرجـوع إلى الحـق، ولـو كان زعيـمًا مقدسًـا. ولـو كان المشـاقي الظـالم!! الـذي يأمـر النـاس بقتـل آبائهـم.

وصلت رأس السلم!!

•••

ويتندر القرويون بمصائر الظالمين والطغاة المستبدين، بما جرى لأحد هؤلاء الطغاة أيام الحروب الأهلية؛ وحكم الأقطاع في فلسطين فيروون، أن هذا الحاكم المستبد الظالم المخيف، كان يأمر الرجل المذنب، أو المتهم بأنه مذنب أو المغضوب عليه، أن يذهب وحده للسجن، فيذهب المسكين إلى السجن، ويطرق بابه، ويظل فيه، هكذا، بلا محاكمة، ولا تحقيق، ولا سؤال ولا جواب، حتى يرق له قلب ذلك الحاكم الظالم، فيطلق سراحه، أو يقتله إذا عصف به الغضب لسبب أو لغير سبب.

وكان لهذا الظالم بنت، خرجت يومًا تتفرج على البنائين والفعلة، وهم يقيمون لأبيها قصرًا منيفًا، بالسخرة، لا بالأجرة. فرأت رجلًا مغضوبًا عليه، يقدم إلى البلد، وهو مكتوف (بلبش) بطيخ!! وهو من التفاهة والضعف بحيث لا يعيق الطفل الرضيع أن يقطعه. فلما رأت الرجل المغضوب عليه، يأتي ليدخل السجن، وهو على هذه الهيئة. علمت أن نهاية الظلم والظالمين، قد دنت، فقالت للبنائين والعمال والفعلة: (طيحوا يا بناية، وصلت راس السلم)!! ويقول الرواة، ويقسمون بالله، أن البناء قد أنقض من أساسه، بمجود نزول البنائين والعمال عنه!! وهكذا فإن دولة الظلم ساعة، ودوله العدل إلى قيام الساعة والعدل أساس الملك، ودعامة الزعامة.

وفي عهد السلطان عبد الحميد، أستاذ الطغاة والمستبدين، كان الناس، يختبئون في السراديب، ليقرؤا كتاب (طبائع الاستبداد) للزعيم الحر السيد الكواكبي.

لقد مات السيد الكواكبي، ومات كثيرون غيره من الأحرار الذين لا ينامون على ضيم، ولا يطيقون عبودية، ولا يخضعون لمستبد، ولا يقرون لزعيم أو ملك بالعصمة. ولقد لقي مئات وألوف من الشهداء مصارعهم على يد السلطان المستبد الظالم. وامتلأ بحر مرمرة بأشلاء الضحايا. وأما عبد الحميد، فقد ذاق مرارة الذل والأسر بعد العز والجاه والسطوة والتحكم في رقاب العباد، يقتل من يقتل، ويسجن من يسجن، ويغرق في البحر من يغرق، بلا حساب ولا رقيب، ولكن جذوة الحرية لم تنطفئ من قلوب الأحرار، بل ظلت تتوقد، حتى أطاحوا الطاغية عن عرشه، ثم ألقوه في غيابة السجن، يتجرع كؤوس الذل والضعف حتى وافاه الأجل المحتوم وليته استراح بالموت من نقمة المظلومين. كلا!! فإنه ما يزال، مضرب المثل في النفاق السياسي، والظلم والعسف والتجبر والطغيان فإذا أرادوا تشهير أحد المستبدين قالوا: هذه سياسة السلطان عبد الحميد!! كذب ودجل ونفاق وتزوير، وإعطاء العسل من طرف اللسان، ثم تدبير المصرع الاليم، في ظلام الليل أو غفوة الوجدان.

وهل للظالم وجدان يحاسبه؟ وهل يتذكر ربه فيخشاه؟ ويا ويل للظالمين، من عقاب رب المظلومين!!

عدو الاستعمار

•••

كان سيدنا محمد، يحارب في عدة جبهات بحسب الاصطلاح الحديث. كان يحارب نفوذ الفرس والرومان في بلاد العرب. وكان يقاوم نفوذ قريش واليهود؛ وثقيف!!

وكانت للفرس والرومان في الحجاز عامة وفي مكة خاصة، جواسيس ودعاة من كل صنف وكل لون. فكان التنافس بين الدولتين القويتين عظيمًا دائمًا لا تخف حدته، ولا يفتر نشاطه، بيد أنه كان نشاطًا سريًا، لا يظهر سافرًا خشية فساد الخطط.

وكانت قريش تحسد محمدًا، أن يوحى إليه، بأنه رسول الله إليهم وإلى الناس. وكانت ثقيف تحقد على قريش أشياء، تم تحسدها أن يكون نبي العرب منها، وأما اليهود، فقد كانوا يحقدون على العرب ويحسدونهم أن يكون النبي الموعود منهم!! وكان الفرس والرومان، يخشون العرب، ويضعون العراقيل في سبيل وحدتهم وقوتهم!!

والغريب أن هذه القوى، رغم تنافسها وخصومتها لبعضها، قد اتفقت كلها في خصومة النبي والإسلام. ولهذا كان على النبي محمد أن يقاوم هذه المتخاصمة، التي اتفقت مصالحها، على حربه والقضاء عليه، ليظل العرب، ضعفاء، متفرقون، مستعبدون!!

وكانت فارس والروم، ترغبان في إخضاع بلاد العرب إليهما وتتنازعان النفوذ عليها، وعلى امرائها وزعمائها. ولم يؤثر عن النبي العظيم، أنه قد مال إلى هذه الدولة، أو تلك، بل ظل بعيدًا عن عملائهما جميعًا، بل زاد على ذلك، أنه راسل الملوك كأشخاص يحتاجون إلى الهداية والإرشاد!! وهذا ما غاظ كسرى برويز، فمزق الرسالة النبوية! إذ أنه لم يرفع مرتبة كسرى إلى درجة الند المساوي لمقامه، بل جعله في مرتبة الجاهل، يحتاج إلى تعليم. وكذلك فعل مع قيصر، وبقية الملوك والرؤساء داخل الجزيرة وخارجها.

ولم يكتف كسرى برويز، بتمزيق الرسالة النبوية، بل أرسل النبي قارص الكلام. ثم أرسل إلى عامله في اليمن، وكانت اليمن مستعمرة فارسية بسبب خيانة سيف بن ذي يزن السياسية يأمره باستتابة النبي، أو إرسال رأسه إليه إذا أصر على العصيان، وادعاء النبوة، ونزول الوحي عليه من السماء.

ويا الله من عظمة النبوة. فقد كان جواب محمد؛ الرسول (باذان) وهو يطلب منه التوبة عن النبوة، والسماح له برأسه إذا أصر على ادعاء هذه النبوة!! فذًا في بابه ولا يصدر إلا عن الرجل العظيم.

لقد نظر محمد العظيم إلى هؤلاء العبيد، كيف يحملون رسالة لا يطيق العقل البشري فهمها أم اساغتها، لغرابة مضمونها، فكأن باذان، كان يطلب من النبي أن يكذب نفسه، ويخلع نفسه من النبوة. وهذا وحده، قد حمل النبي وأصحابه المكروه فوق المكروه ثم عرضهم إلى الأذى والسخرية والتعرض للقتل، ثم حملهم آخر الأمر على هجرة

بلدهـم المقـدس العزيـز. فأنظـر كيـف أعماهـم الغـرور والاسـتخفاف بالكرامـة العربيـة، حتـى يرسـلوا إلى أبي المؤمنـين رسـولًا تافهًـا حقـيرًا، يبلغـه أمـر كـسرى لـه بالتوبـة مـن النبـوة؟!

وهنـا تـرى السـخف والاسـتخفاف بالكرامـة حـين يطالبـون مـن النبـي رأسـه جـزاء عـدم توبتـه؟! أنهـم يطلبـون رأسـه منـه هـو!! فكأنهـم يطلبـون منـه، أن يأمـر أحـد أتباعـه، بقطـع رأسـه تنفيـذًا لأمـر كـسرى!!

لقـد قابـل النبـي هـذا السـخف البالـغ، بسـخرية بليغـة، إذ قـال لرسـول (بـاذان) أن ملككـم كـسرى (برويـز) لا يقـدر عـلى حمايـة رأسـه مـن أولاده!! إنـه الآن يخبـط بسـيوف أبنائـه، إنهـم يهبرونـه بسـيوفهم إنهـم يقتلونـه!! فأرجـع إلى سـيدك وقـل لـه، فليحـم (برويـز) برأسـه مـن سـيوف أبنائـه، ثـم بعـد ذلـك يطلـب رأس سـيد العالمـين. وسـترى أيهـا الرسـول، إذا كتبـت لـك الحيـاة، إن ملـك (برويـز) سـيكون مـيراث قومـي، وإن مـا تحـت يـد (برويـز) سـينتقل إلى أيـدي المسـلمين وهـذا هـو أسـتاذ العظـماء!!

لا يقتـل أحدًا ولو خالفه

كان عبـد اللـه بـن أبي كبـير المنافقـين، المناوئـين لرسـول اللـه وللإسـلام. وكانت لـه مواقـف مثـيرة، لـو وقعـت مـع غـير النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم، لأمـر بقتلـه في الحـال ولكنـه كان يقـول لكبـار الصحابـة، وهـم يسـتأذنونه في قتلـه مـا معنـاه مـاذا يقـول النـاس حـين يـروني أقتـل أصحـابي؟

ولقـد بلـغ مـن غيـظ المؤمنـين وتحفزهـم لقتـل هـذا المنافـق، أن ابنـه وكان صـادق الإيمـان قـد اسـتأذن النبـي في قتلـه إذا لم يكـن مـن ذلـك بـد!!

لأنـه خـشي أن يثـأر لأبيـه إذا قتلـه أحـد المسـلمين. فيقتـل مؤمنًـا بكافـر!! فـكان النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم وهـو البـر الرحيـم الـذي قـال لـه اللـه في القـرآن الكريـم (ولـو كنـت فظًـا غليـظ القلـب لانفضـوا مـن حولـك) كان يأمـر الابـن بـبر أبيـه ووصلـه وطلـب رضـاه. ثـم يقـول لـه بـل نصلـه ونحترمـه وندفـع عنـه الأذى!!

وأمـا زعماؤنـا المطهـرون مـن الأخطـاء والأدران فإنهـم لا يجلسـون إلا في صـدور المجالـس ولـو كفـرت بهـم وعاملتهـم كـما أحـب النبـي أن يعاملـه النـاس لانقضـت السـماوات عـلى رأسـك.

وبهـذه المناسـبة أذكـر أن المرحـوم الحـاج يعقـوب الغصـين كان شـديد التواضـع لأنـه يعـرف قـدر نفسـه فـلا يـضره أن يجلـس عـلى كـرسي بسـيط عنـد البـاب لأنـه يحـب أن يجلـس حيـث أنتهـي بـه المجلـس ولا واللـه مـا رأيتـه مـرة يفعـل ذلـك ولا أحـد رآه كذلـك إلا ازدادت محبتـه في القلـوب وامتـلأت مـن مهابتـه المحبـة البسـيطة السـاذجة.

لقد مثّل النشر عبر العصور أداةً للتمدّد والاحتواء، وهو بذلك استطاع أن يمتلك قُدرة استثنائية على التجدّد والتنوّع في حركته وتحوّلاته التقنية، بدءًا من الإيماءة ومرورًا بالنقش ثم الطباعة على الورق، ليُشكّل بذلك ضوءًا مُتعدّد الطبقات، يَقبضُ بوميضه على أحاسيسنا المتغيّرة بفعل الزّمن.

إن تمدّدًا على هذا النّحو، يمكنه أن يقلّص المسافة، وأن يُجسّد حاجتنا إلى التنقّل عبر المحطات العابرة للتاريخ، بل يُثري تجاربنا في تشكيل القوالب الحيّة لذاكرة لا تغيب.

فتلك التحوّلات التي أنتجتها التكنولوجيا لم تأتِ صدفةً، إنها انبثاقُنا المبتكر نحو خلق الترابط مع الآخر في هذا العالم الوسيع.

ضمن تلك الرؤية، صمّمت وزارة الثقافة مشروعها نحو النشر الرقمي ليقينها بضرورة توسيع نطاق النّشر وإتاحته أمام أكبر عدد ممكن من الباحثين والدارسين والقُرّاء.

وزير الثقافة
عماد عبدالله حمدان